منشىء المجلة
انطون الجميّل

الزهور

المدير المسؤول
امين تقي الدّين

الجزء الثاني — افريل (نيسان) ١٩١٣ — السنة الرابعة

أدرنــه

هيَ عاصمةُ الترك الأولى في أوروبا . آخر أثرٍ في البلقان لمجد بني عثمان . أخذها «فردينانُ» بالأمس كما أخذها «مرادُ الأول» من قبل . كلاهما بذل في سبيلها ثمناً غالياً من مالٍ ومن رجال

روضةٌ غنَّاء في منبسطٍ ريَّان الصدر ، مخضرّ الأديم . تترامى حولها سهول فسيحة يتسلل فيها نهر « أردَهْ » ، وينساب في غياضها نهر « تُوندجه » ، حتى اذا هما بلغاها لاقاهما أمامها نهر « ماريتزا » فمانقاهُ وتمشّى الثلاثة معاً الى خليج إينوس

هيَ بنتُ القِدَم، وأمُّ الحوادث الجسام . بناها «أدريان» امبراطور الرُّومان ، بناءً مثلَ همَّتهِ وطيداً ، فكانت من بعدهِ معقلَ الملوك ، وأبعد غايات الجيوش ، وأجلّ هموم الفاتحين

هيَ راوية التاريخ : مرّت بالأجيال الوسطى وشهدت مطامع أقوامها .

كم خميسٍ لَجبٍ صادَمها ، وكم ملكٍ همامٍ زحف عليها . لا هيَ ناسيةٌ وقائعَ « قسطنطين » و « ليسينيوس » ، ولا مجازرَ « الغوط » وقومِ الامبراطور « ڤالانس » . ملِكان تلاقيا أمامها وتناجزا على مرأى منها طمعاً فيها . فلمَّا تغلَّبَ « قسطنطين » فتحت لهُ صدرَها ، ومدَّت اليهِ ذراعَيها . وشعبان تطاحنا عندها رغبةً في حيازتها ، فلما قهر « الغوط » « ڤالانس » نبذت هذا ، وأباحت حماهـا لقاهريه . هي تحبُّ الغالب ، وتزدري المغلوب !

ثم حاصرَها البلغار ، ورموها بالحجارة والنار ، فدفعتهم بمنعتها وردَّتهم عنها خاسرين ؛ حتى اذا ضيَّقوا عليها الخناق ، وأرهقوها بالجوع ، تمكَّنوا منها ، فدخلوها مهلّلين مكبّرين . مَنِ استطاع أخذَها عنوةً فقد استطاع شبهَ المستحيل

هيَ سبيـلُ الغربِ الى الشرق : آوتِ الصليبيين في طريقهم الى بيت المقدس ، والطريق اليهِ يومئذٍ نار ودم ، وجمعت في ذراها امبراطور الروم ، وفردريك بَربَروس ، فتعاهدا تحت ظلّها وتحالفا ، وكانت لهما الشاهدَ العدل

ثم مشى بها الدهر أو ماشتهُ . لا صروفهُ هيّنة ، ولا عزائمها واهنة . كلما أنشبَ فيها ظفراً أنشبت فيهِ ناباً وظفراً . لاقت بهِ طاغية عتيًّا ، ولاقى بها صبوراً حمَّالةً للخطوب . قوَّتان متكافئتان

هي الحلقة الأولى من سلسلة الفتوحات العثمانية في اوروبَّا . فتحها

مراد الأول واتخذها عاصمة للسلطنة . متى تغلّب فاتحٌ عليها فقد تغلّب على سائر البلقان . ربَّ حلقةٍ اذا سقطت ، سقطت وراءها حلقات

حينئذٍ مدَّ النصرُ لها يدهُ فصافحتهُ بيدِ بايزيد الأول ، ثم حالفتهُ بيد مراد الثاني ؛ فتمشّت هيبتها في طليعة جيوشها ، فملك قومها مقدونيا وبعضَ بلاد الروم ، واكتسحوا ألبانيا ، ودوَّخوا الفلاخَ ، وفتحوا بلغراد . ثم مشى منها محمد على فروق حيث بنى عرشهُ على بقايا عرش قسطنطين ، ووطّد الخلافة على انقاض الامبراطورية

أسعدَها بنو عثمان يوم كان نجمهم زاهراً ملء دائرته في سمائه ، والهلال خفّاقاً بالنصر على رؤوس الترك ؛ فبنى فيها سليم الثاني جامعهُ الشهير رافعاً قبّتهُ على أعمدةٍ من المرمر مباهياً بها قبة « آيا صوفيا » في فروق ، وشاد غيره جملةً من الجوامع حتى أربى عددها فيها على أربعين هي وقبورُ بعض السلاطين كلٌّ ثروتها من الآثار

* * *

عزٌّ مضى ومجدٌ تولّى . لا حالٌ الاَّ تحول ، ولا دولةٌ الاَّ تدول

عجباً لها ! بينا هي سبيلُ السلاطين الى الغرب ، اذا هيَ طريق القياصرة الى الشرق : مرَّ بها سليمان الثاني الى ڤِينَّا ، ومرَّ بها اسكندر الثالث الى فروق !

كُرَةٌ لصَوالجة الفاتحين يترامَاها ملوكٌ ، ويتلقّفُها ملوك . ما دخلها القائد « بوسكيه » ابانَ حرب القرم حتى خرج منها عقيبهَا . تؤخذ اليوم

بالسيف ، وتنتزع غداً بالسياسة . فتحها « جورجو » قائدُ الروس ، وانتزعتها منهُ معاهدةُ سان استفانوس !

جوّادةٌ بما لا تملك . لم تتحرَّر قط ، ولكنها وهبت الشعوب الحرية ، ولم تنعم بالاستقلال حقبةً من الدهر ، ولكنها أنعمت بهِ على جاراتها . لو استطاعت لأخذت مثل ما وهبت !

سجلٌ يكتبُ فيهِ القلم كما يكتبُ فيهِ السيف . لهذا صفحة تنطوي على دمٍ وعلى نار ، ولذاك صفحة تنفتحُ على عهودٍ ومواثيق . ما كانت الأولى غير اسباب ، وما كانت الأخرى سوى نتائج . كذلك وقّع فيها السلطان محمود معاهدةَ صلحهِ مع قيصر الروس ، تلك المعاهدةَ التي وسّعت منطقة روسيا في آسيا ، وكتبتْ للسربِ ورومانيا فاتحة عهدهما بالاستقلال ، وكذلك دُوّنَ فيها اعتراف التركِ بتحرّر الرّوم ، ذلك الاعترافُ الذي أعزَّ هؤلاء ، وأطلقهم من ربقة الاستعباد

مَيدانٌ للحرب ، لا ميدانٌ للعقل . ضرَبت فآلمتْ ، وقاتلتْ فقتلتْ ، ما أنكر أحدٌ بأسها ، ولا استخفَّ ملكٌ حملها . ليتها كانت ربّةَ رأيٍ مثلما كانت ربةَ حسام . للقوّةِ شأنٌ ، وللسياسةِ شأن . ما وفّقت بينهما ، ولا استفادت من جمعهما . فالبلادُ التي أغارت عليها عادت اليها مكتسحةً مغيرة ، والقومُ الذين أراقت دماءَهم ، قويَ ساعدهم عليها فأراقوا دمها . وانما الدهر يومان : يوم لك ويوم عليك . مَن استفاد من نِعم الأوّل هوّن عليهِ شرورَ الثاني

أدِرنَه أخت بلاڤنا . كلتاهما كانت عريناً للأسود، ومعقلاً لأبطال التاريخ . أختان شقيقتان حمى عرضَيهما أخوانِ شريفان . ما تسلَّمَ قيصرُ الرُّوس الأولى الاَّ مغموسةً بدماء الألوف من عساكرهِ، ولا بلغ قيصر البلغار الأخرى الاَّ مشياً على جثثِ جنوده . ملكانِ اُبتليا بملِكَين . ذانك أعزَّهما تاجاهما، وهذان شرَّفهما سيفاهما . ربَّ سيفٍ أعادهُ اسكندرُ الثالث الى عثمان إجلالاً واكباراً، وربَّ سيفٍ ردَّهُ فردينان الى شكري احتراماً واكراماً . غازيانِ لكلٍّ حقهُ من الشرف والجاه . لتعتزَّ أدرنه بفاتحيها . اسودٌ اقتنصتها من اسود!

*
* *

أيها الفاتحون ادِرنه المغتصبون حماها . هل فتحتم مدينةً أعزَّ أمِ اُغتصبتم حمىً أجلَّ . أما واللهِ لو لم تكونوا لها أهلاً، ما ملكتم منها قِيدَ شبر، ولا تطلعتم الى اسوارها الأعن كثب . لم يبعها الترك رخيصة القدر، ولا اشتريتموها بخسة الثمن . فاذا وقفتم بقبور السلاطين فيها، قفوا خاشعين لذويها . الكريم مَن يعرف قدر الكريم . اولئك ملوك كبار أجلَّهم من قبلكم ملوك كبار . مَن ذا يقول لهم عنَّا : سلامٌ عليكم سلاطين عظاماً، وسلامٌ عليكم فاتحين أعزَّاء . هذا آخرُ عهدنا بكم . لتبقَ قبوركم مزارَ الأبطال وذكرى خالدةً لمجدكم الخالد . مباركةٌ هي تلك القبور، ومباركةٌ حولها قبورُ حماتها البواسل

في ذمَّةِ البلغار ما في ادِرنه من رفات كريمة!! سلامٌ عليها وواهاً على عهدنا بها!!؟

الجريحة الابدية

قطرةُ الندى العالقة بغصن الشجرة ، عندما تنعكسُ عليها أشعةُ الشمس المشرقة تكون أشبه شيء باللؤلؤة الصافية

تلك القطرةُ اللؤلؤية ، اذا هبَّ عليها النسيم الخدَّاع فأسقطها الى الحضيض ، امتزجت بالتراب ، فتحوَّلت الى وحل

ولكن يكفي ان يُصيبها شعاعٌ من الشمس المنعشة ، حتى يُبخّرها فيطهّرها مما لحق بها من الاقذار ، ويعيدها الى صفائها الاول . . .

كذلك قل عن المرأة الطاهرة . فان قلبها هو أشبهُ شيء بتلك اللؤلوة الجميلة قبل سقوطها من على الغصن ، بل هو أبهى وأسنى

فاذا هبَّت عليهِ لوافح الشهوات والاهواء ، أسقطتهُ الى وهدة الرذائل ، فمرَّغتهُ في حمأة الدنايا

ولكن يكفيهِ شعاعٌ من الحب الطاهر حتى يخلصهُ من كل شائبة ويعيده الى ما كان عليهِ من الجمال والبهاء

⁂

مسكينة المرأة ، وتعِس حظّها في هذه الحيـاة . نفحتها قريحة الشعراء بألطف الأسماء ، وجادت عليها مخيلّة العشاق بأجمل الالقاب :

سموها الشمس والقمر ، وهي المسكينة المظلمة الفؤاد

رأوا فيها الغزال الشارد ، وهي الرازحة المثقلة بتقاليد هذه الحياة

شبهوها بالزهرة النضرة ، وهي المهشمة القلب الدامعة العينين في بلائها الشديد

لقّبوها بالحمامة البيضاء السابحة في الفضاء ، وهي العصفور المقصوص الجناحين في قفص الحديد

صوَرٌ وتشابيه، وأسماء وألقاب، هيهات ان تنطبق على حقيقة الواقع وواقع الحال. وليس من اسم ينطبق على هذا المسمى المسكين أحسن من الاسم الذي وضعهُ « ميشله » المؤرّخ الفرنسوي الشهير لما سمى المرأة « الجريحة الابدية » . كيف لا وهي جريحة ابنةً وزوجةً وأماً . . . ؟

بل كلها جروح دامية اذا تناولها اعصار هذه الحياة فتلاعب بها كما يتلاعب باوراق الخريف، وطرحها أخيراً في مواخير البغاء، فتصبح ثغراً ضحوكاً باسماً، وقلباً خفوقاً دامياً؛ تغازل بالعين، وتبكي بالأخرى؛ وتداعب باليد، وباليد الثانية تسند فوءاداً تُصدّعهُ الذكرى

* * *

جمع أحد مشاهير المصوّرين حياة احدى هذه التعيسات في خمسة رسوم بديعة الوضع والصنع. ففي الاول: صورة فتاة طاهرة ساذجة عند وصولها من قريتها الى المدينة؛ وفي الثاني: وقوعها بين مخالب أحد الذئاب البشرية؛ وفي الثالث: نزولها الى بيوت الفحشاء؛ وفي الرابع: نزولها في السجن، لأن الفاقة ساقتها الى السرقة؛ وفي الخامس: امرأة ناحلة جرداء، عليها أسمال بالية، وهي تمدُّ يدَها الى المارّين تستعطيهم هاتفةً: « أعطوني حفظ الله ابناءكم من بناتي . . ! »

* * *

هذه هي صورة اكثر النساء اللواتي وُصمنَ بوصمة العار وهي صورة غنية عن الشرح والتعليق. ولكنَّ هناك فرضاً واجباً يتحتم علينا قضاوءه. فقلب هذه المرأة المسكينة كان ضحية الهيأة الاجتماعية. فعلى الهيأة الاجتماعية أن تضمد جرحه، وهي أدمتهُ؛ وتداوي قرحه، وهي أحدثتهُ. فتسكب عليهِ بلسماً، لا خلاً يزيده ألماً

قال فيكتور هوغو: « أيها الرجل — وكلنا هذا الرجل — لا تحتقر أبداً امرأة سقطت، لأنك لا تعرف تحت أي حمل ثقيل رزحت نفسها المسكينة »

أجل لا يليق بالانسان أن يزدري تلك المخلوقة التي أعيتها أثقال هذه الحياة فسقطت الى الحضيض ، بل يجب عليهِ ان يمدّ اليها يداً كريمة فينتشلها من سقطتها ويرفعها من كبوتها

⁂

في فرنسا جمعية يرئسُها الموسيو ليون بورجوا الوزير الفرنساوي السابق ، هي أفضل من الجمعيات الخيرية ، وأسمى غاية وأنبل مقصداً من سائر الاعمال المعروفة بالأعمال الانسانية ؛ خصص أعضاؤها ذواتهم بزيارة تلك المنازل النتنة التي دُفنت فيها الانفس الحية فصارت تشبهُ القبور المكلَّسة : ظاهرها الرونق والبهاء ، وداخلها التعاسة والشقاء . يزورون تلك الخبايا المظلمة ، فيزورها معهم شعاع الحياة والرجاء فينعش الافئدة الذابلة ويحيي القلوب المائتة . يزورون تلك المنازل فيأخذون من طُرِح فيها من سفالة البشرية ، ويضعونهُ في كير التنشيط ويدنونهُ من نار الامل ، فتُطهره ويصوغون منهُ نفساً جديدة طاهرة لا عيب فيها ولا دنس

⁂

ونحن في حاجة ماسة الى مثل هذه الجمعية التي تخدم البلاد أجلّ خدمة فتعلّم السعيدات ما هي الشفقة والرحمة ، وتعلّم التعيسات ما هو الصبر والرجاء

﴿ أقوال مأثورة ﴾

* كن على حذر من الكريم اذا هوَّنتهُ . ومن الاحمق اذا مازحتهُ . ومن العاقل اذا أغضبتهُ . ومن الصديق اذا أفشيت بسرّه　　　(ابن عبد ربهِ)

* قال بعضهم : انظر الى المتنصح فان أتاك بما لا ينفعك ويضرُّ غيرك فانهُ شرّير . وان أتاك بما ينفعك ويضرُّ غيرك فانهُ طامع . وان أتاك بما ينفعك ولا يضرُّ غيرك . فاصغَ اليه وعوّل عليهِ　　　(الراغب الاصفهاني)

روسيا وبنو رومانوف

سبق للزهور أن نشرت صورة الشيخ يوسف الخازن صاحب « الاخبار » المحتجبة . وهو الكاتب المجيد الذي طالما طرب القراء لمقالاته الشائقة وابحاثه الدقيقة . ويسر ان نقدم اليوم لقرائنا المقالة التالية منه ، قال :

في أوائل الشهر الماضي خُتِم القرن الثالث لجلوس مخائيل رومانوف على عرش روسيا ، وهو جَدُّ الدولة المالكة فيها اليوم ، فاحتفل الروسُ بذلك احتفالاً باهراً توفّرت فيه مظاهرُ الأُبهة والعظمة على ما يليق بالدولة التي تظلّلُ رايتها سدس بلاد الله مساحةً وعُشر عباده عدداً . فحجَّ القيصر الى بيت جدهِ في موسكو ، حيث يُحفَظُ المهد الذي ضمَّهُ واللعَب التي لها بها وسائر الذخائر المتروكة عنهُ ، مما يحفظهُ الابناء برًّا بالاباء وافتخاراً بهم ؛ واقيمت الصلوات الحافلة في عاصمة روسيا تذكاراً للاموات ودعاء للاحياء ، بحضرة ستة عشر مطراناً يتقدَّمهم بطريرك انطاكية ، وقد جيء به خصيصاً من الديار الشامية لهذه الغاية ؛ ووزّعت الصدقاتُ وأطلق السجناء وعفي عن كثيرين من المنفيين ، ووردت على القيصر التهانئ من الملوكِ ورؤساء الحكومات وذوي الحيثيات ، على ما فصَّلت ذلك الجرائد اليومية

ولا غرابة اذا احتفلت روسيا مثل هذا الاحتفال بذكرى مخائيل رومانوف فان لابنائهِ فضلاً عظيماً عليها ، ومآثر عديدة تخلّدُ ذكرى كثيرين منهم في التاريخ وتسوّغ الافتخار بهم : فانهم تولّوا روسيا ، ومساحتها ثمانية ملايين كيلومتر مربع بما فيها سبيريا ؛ والبحران البلطيقي والأسود مقفلان في وجهها ، فلا منفذ لها الاّ على البحر الأبيض حيث الجليد يكاد يجعل كلَّ منفذ والهواء سواء ؛ واسوج على كتفها قوية الساعد شديدة البأس ، تضطرها الى التنازل لها عن بعض الولايات ؛ وبولندا حاجز قويٌّ بينها وبين دول الغرب تعزلها عنها ، ولا تدع لها رأياً في مجالسهنَّ ؛

وفتوحات الترك تقصر نصيبها من ارث السلطنة الرومانية الشرقية على لقب وشعار [1]؛ والعنصر السلافي ، بوجه الاجمال ، ضعيف الشأن ، خامل الذكر لا يُعبأ بهِ ، ولا يكترث له

وها هي الآن بعد ثلاث مئة سنة من حكمهم على ما ترى : فانهم ما اكتفوا بالمحافظة على ما ورثوه واسترداد ما اضطرتهم الأحوال الى التنازل عنهُ في بداية ملكهم ، بل زادوه كثيراً بما ضموا اليهِ من الأملاك الواسعة في اوربا وآسيا واميركا . على انهم عادوا فباعوا ولايتهم الاميركيـة للولايات المتحدة ، كما باعت فرنسا من قبل ولاية لويزيانا ، ومع ذلك فمساحة روسيا الآن تناهز ثلاثة أضعاف ما كانت عليهِ في أوائل القرن السابع عشر ، عدا الامارات المستظلة بظلها والمناطق الداخلة في نفوذهـا . ومما يزيد هذه المساحة قيمة كونُهـا قطعة واحدة من الغرب الى الشرق . فان روسيا ، من هذا القبيل ، لا يضارعها سوى الصين والولايات المتحدة . أما الصين فانحطاطها لم يدع لها شأناً بين الدول ولسنا نظن أن مستقبلها يكون خيراً من ماضيها اذا اقتصرت عوامل الاصلاح على تغيير هيئة الحكومة ونظاماتها فان مثل هذا التغيير ما كان يوماً دواء شافياً لأمراض الضعف والانحطاط . وكفى بمصير البلاد العثمانية اليوم شاهداً . واما الولايات المتحدة فمساحتها تسعة ملايين كيلومتر حال كون مساحة روسيا اثنين وعشرين مليوناً . نعم ان للولايات المتحدة مزية عظيمة على روسيا بالنظر الى الموقع الجغرافي ووحدة الأُمة وقابلية البلاد للعمران ولكن ما دامت دفة السياسة في يد أهل القارة القديمة فشأن روسيا أعظم وأرجح

اما البحر الأسود فقد أصبح بحيرة روسية لا ينازعها فيهِ منازع بفضل كاترين التي بسطت يدها على ساحله ، ونقولا الذي دافع عنهُ دفاع الجبابرة ، واسكندر

(١) لقب « قيصر » وشعار « النسر المزدوج الرأس » الذي اتصل بالروس بمصاهرتهم لبني بليولوج أصحاب القسطنطينية

الذي فك القيود وحل العقود وجدد فيهِ المعاقل والحصون رغم الانوف . وما قيل عن البحر الأسود يقال عن البحر البلطيقي وقد قامت عاصمة الروس على ساحلهِ تفاخر رصيفتها الأسوجية فتفخرها على حداثة عهدها وترسل اليهـا مع كل موجة ذكرى بطرس الاكبر قاهر كرلوس الثاني عشر ومؤسس عظمة الدولة السلافية على انقاض الدولة السكندينافية

اما بولندا فقد امّحت من سجل الدول وكاد الانتصار لها لا يتعدَّى حركات كحركة المسيو فلوكه الصائح في وجه الامبراطور اسكندر الثـاني على سبيل الاحتجاج عند زيارتهِ باريس : « لتحيَ بولندا يا مسيو ! » على ان فلوكه هذا هو نفسه الذي تغدى فيما بعد على مائدة الامبراطور نقولا الثاني في بطرس برج ناسياً بولندا والبولنديين . لكن كيف كانت الحال فالأولى بالاحتجاج أن يوجّه الى النمسا لأنهُ اذا كان اغتصاب الروس لبولندا ينم على الطمع فاغتصاب الساسة النمسويين لها لا ينم عن الطمع فقط بل عن قلة الوفاء ونكران الجميل ايضاً فانهُ لا يخفى على أحد انهُ لولا بولندا لباتت فيانا مرتعاً لخيل الترك ونالها منهم ما نال غيرها من العواصم التي فتحوها ، ولا يزال النمسويون يحفظون حتى اليوم في بعض متاحفهم جمجمة يزعمون انها جمجمة قره مصطفى وهو الوزير الذي وقف عند اسوار فيانا يتهدد النمسويين ويتوعدهم بقطع رؤوسهم والتمثيل بهم وكاد ينفذ وعيده لولا المعونة التي جاءتهم من بولندا . وقد اكبر النصارى كلهم يومئذٍ عمل البولنديين وتغنّوا بهِ في كل مكان وكلَّف البابا نقّاشاً من خيرة النقاشين ان يخلد ذكراه على الرخام ويزيّن بهِ كنيسة ماري بطرس في رومية . اما الترك فقد حقدوا على بولندا من أجل ذلك فكانوا أول من فكَّر في تقسيمها واقترحوه على روسيا قبل ان يخطر ذلك ببالهـا ولم تقدم عليهِ الاّ فيما بعد بالحاح النمسا وبروسيا

اما الهواجس التي جاءت من جانب الترك فمـا لبثت حتى زالت وتلاشت ولم

يبقَ لها أثر في الصدور . نعم ان الترك أحرجوا بطرس الاكبر يوماً فاضطر الى توقيع معاهدة بروت على شروط لا ترضيهِ ولكن خلفاءه انتقموا له أيما انتقام : وهذه معاهدة قينارجه – وقد أبت كاترين أن يوقعها الروس الاَّ في مثل اليوم الذي وقعت فيهِ معاهدة بروت – ومعاهدة ادرنة ومعاهدة سان ستفانو كلها تشهد بأن نجم بني رومانوف كان أعلى من نجم بني عثمان وتبين الاسباب التي جعلت كلمة روسيا في الاستانة فوق كل كلمة

اما العنصر السلافي فقد كان ارتقاء روسيا وصعود نجمها في العالم السياسي خير منشط لهُ فدبت فيهِ روح جديدة وأخذ أبناء السلاف في كل مكان يحولون أنظارهم اليها ويسعون الى الاستظلال بظلها وأثبتت الأيام انهُ لا تقوم لهم قائمة الاَّ بالانضمام اليها والاتحاد معها وان من خالف ذلك منهم عاد بصفقة المغبون . وما كان بنيامين السلاف[1] ليقف وقفتهُ اليوم ويخاطب النمسا ومن يشد مشدَّها بلهجة تحجم عنها الدول الكبرى لولا ان روسيا من ورائهِ تثبت عزمه وتشدّ أزره ، وبيض القطا يحضنهُ الأجدلُ

والحق ان روسيا قد فعلت في سبيل ابناءِ جنسها ما لم يفعلهُ غيرها في القرون الحديثة وربما كان السبب في ذلك ان ابناء جنسها اكثر حاجة من سواهم الى المساعدة والتعضيد . ولم تنحصر عناية الروس بابناء السلاف فقط بل تناولت جميع الذين على مذهب الارثوذكسية ايضاً فكان لليونان والسوريين حظ وافر منها والمشهور انهُ لولا الروس ما قُرع جرس في سوريا ولا ارتفع صليب في جنازة مسيحية ولذلك كنت ترى المسيحيين العثمانيين بوجه الاجمال ضالعين مع روسيا في حربها مع اليابان ولم يخرج عن هذه القاعدة سوى نفر من تلاميذ المدارس الاميركية لم تبلغهم عبر الماضي او ظنوا ان الانتصار لدولة غير مسيحية على دولة مسيحية يعد دليلاً على

---

(١) الجبل الاسود

الارتقاء وسعة الحلم والتنزه عن التعصب

***

على أن الارتقاء الاجتماعي في عهد بني رومانوف لم يبلغ في روسيا شأوَ الارتقاء السياسي وربما كان السبب الاكبر في ذلك ان الارتقاء السياسي يكفي للقيام بهِ أفراد معدودون تتوفر لهم الاسباب اللازمة وجلها مادية وذلك ميسور في كل آن حال كون الارتقاء الاجتماعي لا بدَّ له من ارتقاء الأمة نفسها وهو أبعد منالاً لأنهُ موقوف على عوامل لا يمكن الاستغناء عنها وجلها معنوية ومرهون بأوقات معينة قلما يمكن تعجيلها بلا ضرر . لذلك اذا صحَّ أن ينسب فضل الارتقاء السياسي الى بني رومانوف لا يصح أن ينسب اليهم التأخر الاجتماعي . ومع ذلك فقد اخذت روسيا تخطو خطوات واسعة في ترقية الشؤون الاجتماعية نظرياً وعملياً

***

هذا ما صارت اليهِ روسيا في عهد اربعة عشر قيصراً وأربع قيصرات تولوهـا مدة ثلاث مئة سنة وقل منهم من لم يترك مأثرة يعرف بهـا في التاريخ : فمخائيل رومانوف منظم الشؤون الداخلية ، وألكسيس ضابط القوانين ومنقح الكتب المقدسة ، وفيودور ممهد سبل الاتفاق برفع أسباب النزاع والشحناء بين الأعيان والأمراء ، و بطرس الاكبر مؤسس روسيا الحديثة ، وكاترين الاولى منقذة زوجها وجيشه برباطة جأشها وحسن فطنتها ، واليصابات ماحية عقوبة الاعدام اجابة لنداء المروءة ، وكاترين الثانية الملقبة بسميراميس الشمال ، واسكندر الاول صديق نابليون وخصمهُ ، ونقولا الاول امين الملوك على حقوقهم الالهية ، واسكندر الثاني محرر الفلاح ، واسكندر الثالث حليف فرنسا

على اننا اذا رجعنا الى التاريخ نجد أن العائلة المالكة اليوم في روسيا ليست من بني رومانوف حقيقة ولا يربطها بها الاَّ رابطة الرحم فقط فانها من سلالة بطرس

الثالث وهو امير الماني ارتقى عرش روسيا بعهد من حالته القيصرة اليصابات وقد انقرضت بها دولة رومانوف في روسيا كما انقرضت بسميتها دولة ثيودور في انكلترا ، وكاترين نفسها ليست من بني رومانوف ولا هي رومانوف ولا هي روسية مطلقاً

فالعائلة المالكة في روسيا من هذا القبيل كالعائلة المالكة في النمسا فانها تنسب الى بني هبسبورج مع انها ليست منهم الاَّ من جانب النساء فان جدها الامبراطور فرنسيس الأول من بيت لورين ولكنهُ تزوج ماريا تيريزا ابنة الامبراطور كرلوس السادس آخر بني هبسبورج و بواسطتها اتصل الملك بزوجها واولاده منها ولكنهم ظلوا ينتسبون الى عائلة امهم . فروسيا والحالة هذه من جملة الممالك التي تحكمها دولة المانية كأنكلترا و بلغاريا ورومانيا

ويتصل نسب بني رومانوف من جانب النساء ايضاً ببني روريك وهم الدولة التي تولّت روسيا منذ أواسط القرن التاسع للميلاد وقد أدركوا في عصرهم شأناً عظيماً وصاهروا بني بليولوج أصحاب الاستانة و بني كابه أصحاب فرنسا . ومن النوادر التي تذكر عن مصاهرتهم لملوك فرنسا ان بسببها سمي ابن هنري الأول ملك فرنسا فيليب : وذلك ان امرأة هنري الأول كانت من بني روريك وكانت تتصل ببني بليولوج من جانب النساء وهم يزعمون انهم من سلالة فيليب المقدوني فسمت ابنها فيليب احياءً لاسم أبي الاسكندر جدها المزعوم

ومما يجدر ذكره ايضاً عن بني رومانوف في هذا الباب انهُ بينما كانت معظم الدول الاوروبية تتهافت على نابليون الأول لتزوجه بنتاً من بناتها بعد تطليقه جوزفين أبى بنو رومانوف ان يصاهروه . نعم ان نابليون لم يطلب مصاهرتهم صريحاً ولكن بدا من سفيرهِ في بطرس برج ما يدل على رغبة مولاه في اخت اسكندر الأول فبادرت والدتها وزوجتها زوجاً آخر حتى تسد السبيل في وجه نابليون . ولا يبعد ان يكون ذلك من الاسباب التي زادتهُ حنقاً على روسيا

ومن عادة بني رومانوف انهم يشترطون بقاء بناتهم على المذهب الارثوذكسي اذا تزوجنَ بغير ارثوذكسي ويشترطون عند زواجهم بغير ارثوذكسية ان تدخل زوجتهم في المذهب الارثوذكسي اولاً وهي عادة تدل – بقطع النظر عن العقيدة – على رفعة الأخلاق وكرامة النفس فان الدين كالعرض لا يتاجر بهِ

يوسف الخازن

المرء ودنياه

عرف القراء اننا نرمي في ما ننشره لكتاب مختلفين من اصقاع مختلفة الى جعل هذه المجلة مرآة تتجلى فيها حالة اللغة والافكار في جميع الامصار العربية . وفي المقالة الآتية التي جاءتنا من دار السلام وفي ما نشرناه قبلها لكتاب الزهور في العراق ما يصح أن يكون نموذجاً للاسلوب الانشائي والحركة الفكرية في تلك الربوع التي عاشت اللغة العربية فيها عصرها الذهبي :

حياة المرءِ في دنياهُ ركبٌ يجوب الارضَ في طولٍ وعرضِ
فتغويرٌ لهُ في أرض قومٍ وتعريسٌ له في غير أرضِ
وأيام الشهور هي المطايا تحثُ السيرَ بعضٌ إثرَ بعضِ
وما عيشُ الفتى الاّ غرورٌ كظل زائلٍ او خفق ومضِ

يعيش ابن آدم في الدنيا وهو مغرور بزهوها ، وزهرتها . مشبوب الفؤاد بحبها ، طائر القلب اليها ، مشغول الخاطر بقطعها ووصالها ؛ يطلب منها الوفاء وهي تغدر بهِ ويتوسل الى قربها بكل وسيلة وهي تخدعهُ ، وتمنّيه بالوعد . « وما مواعيدها الاّ الاباطيل » ! »

ولو علم الانسان – أن الدنيا غادة عطبول ، وعاشق ملول . ان وصلت قطعت ، وان اعطت منعت . نعيمها بؤس ، وحلوها مرّ ، وراحتها تعب ، وبقاؤها فناء ، وعمارها خراب ، واهلها في خطر منها – ما ركن اليها بكله ، وما سعى لهـا كلّ

السعي ، وما بات وليس له من شغل شاغل سواها ، ولا ذكر الاّ ذكراها . .

أيها الانسان الذي غرّه من الدنيا زخرُفها ، واطمعته امانيُّها ، واستغوته شهواتها ، واستغوته زينتها وطلاوتها ، وانطلى عليهِ محالها . اصخ السمع ، وعِ القلب ، الى وصف حال الدنيا وسيرتها مع أهلها ولا أظنك بصغٍ ولا بواع . !

أيها الانسان إن الدنيا كما جاء وصفها في القرآن المجيد ولا ابلغ من ذلك الوصف شيء « كماء أنزلناه من السماء ، فاختلط بهِ نبات الأرض ، فأصبح هشيماً تذروه الرياح ؛ وكان الله على كل شيء مقتدراً . »

بينما تراها مقبلةً عليك بنضرتها ، وبهجتها ، ليس لها بعل غيرك ، ولا دار سوى منزلك ، ولا نظرة الاّ اليك ، تراها بأسرع من لمح البصر قطعتك الوداد ، ومنحتك الصد والبعاد ، فانقلب سرورك حزناً ، وحلو عيشك مراً ، وصفو شرابك رنقاً كدراً ، وتركتك وحيداً فريداً ، في مفازة من ضنك العيش ، ووحشة الفقر ، لا مؤنس لك ولا متوجّع ، ولا ناصر لك ولا معين ، كمن جاءه الموج من كل مكان ، جفاك بجفائها الاصحاب ، وانكرك الاقارب والأباعد والأهل والجيران .

وصارت كل خلة كانت لك في الغنى مدحاً ذماً

فأضحى الذي يودّ أن تكون لك حاجة عنده ، فيتقرّب اليك بها ويتشرف بقضائها يتشاغل عن ردِ سلامك اذا ما سلمتَ عليهِ لا لشيء هناك بل وفاءً منك بالودّ له ! فهو يترك واجباً ويفعل محرماً ، حذراً من ان تقول له قد بتُّ البارحة أنا وزوجي وأطفالي لا فراش لنـا سوى التراب ، ولا غطاء لنا سوى السحاب ، ولا طعام لنا سوى الماء والهواء ، فهل لك ان تكرم عزيز قوم ذلّ ، وشريفاً حسبه الجاهلون غنياً من التعفف ؟

وأمسى الذي يوسط الواسطات الى الحضور بين يديك أكره شيء في عينـه النظر الى وجهك . ولو في ليل ادلهمّت دياجيره ، كأنمـا ينظر اليك بعينين غير عينيهِ الأولين

وبات الذي كان يفتخر بمجالستك ، ومنادمتك في سفرك ومحاضرتك يستنكف من جلوسك الى جنبهِ ، ولو في قفر من الأرض لا رائح فيهِ ولا غاد

وعاد الذي كان يسعى في حسن خدمتك من قبل ، أقبح شيء يراه حسن خدمتك له ، فتراه يتأمر عليك ، و يتذمر منك ، ويحكم فيك حكم السادة على العبيد ، ولا يرى حقاً لنعمتك التي أسبغتها عليهِ فيما مضى كأن لم تكن شيئاً مذكوراً !

وراح الذي كان يتبرّك بلباس ثوبك الخلق ، يفرّ منك « فرار السليم من الأجرب »

وصار الذي كان يستنجدك في الملمات ، ويلجأ اليك في المهمّات ، يتربص لك الدوائر وينصب لك المكايد ، ويؤلّب عليك اذا استنجدته في الخلاص من ورطة وقعت فيها ، فاذا الذي يستنصرك بالأمس يستصرخك

أيها الانسان الذي غرّه من الدنيا ظواهرها ، وخفيت عليهِ بواطنها ، فقام لها على قدم وساق ، وشمّر لها عن ساعد الجد والاجتهاد ، واحبَّها حباً اعشى بصره عن مساوئها ، وأعمه قلبه ، وخامر عقله ولبّه ، حتى استحوذ عليهِ شيطانها ، وأخذت بمجامع قلبه شهواتها . ويا أيها الانسان الذي يتفانى في حبّ الدنيا ولا يلهج الأ بذكرها ، ولا ينشد الاّ ضالتها ، ولا يعرف الاّ إياها ، ولا ينظر الى سواها ، هلاّ اعتبرتَ بما عاملتْ بهِ تلك الدنيا آباءك المتقدمين ، وأجدادك السالفين ، أهل القرون الأولى والقوم الجبارين ؟ فكم أفنت من دول ، وكم أبادت من الملوك الأُول ، أرباب السطوة والسلطان ، والأسرّة والتيجان ، الذين عمروا فيها عمر نوح ، وملكوا ملك سليمان ، وبنوا بناء الاسكندر ، وطغوا طغوّ قارون ، وصالوا صولة النمرود ، وحكموا حكم القياصرة ، وعاشوا عيش الأكاسرة

أين أين الملوك أين الرعايا   أين أين القوّاد للاجنادِ
أين أين البناةُ أين المباني   أين من شيّدوا كذات العمادِ

أين اسكندرُ وأين هِرَقْلٌ   أين نمرود أين ذو الأوتادِ
أين قارون أين فرعون موسى   أين كسرى وقيصر ذو الآدِ
أين من كتّبوا الكتائبَ للحر   ب وصالوا بالمرهفات الحدادِ
أين من كانوا يحرصون على الما   ل ومن كان كعبةَ القصّادِ
هـذه دورُهم تجيبك عنهم   لو يجيب الجمادُ صوت المنادي
صرعتهم كأسُ المنون ولمّا   يستفيقوا حتى ليوم التنادي
وغدوا يُحملون من بعد عرش الـ   ـملك في موكب على الأعوادِ
وغـدا ما لهم وما جمّعوهُ   للأعادي إرثاً وللحسّادِ
وجفـاهم اخوانُهم وبنوهم   وجميـع الحجّاب والقوّادِ
وثووا في القبور من بعد ما كا   نوا بعالي القصور كالأطوادِ
واستقروا في ضيّق اللحد يا سـ   ـعدَ مقرّ السيوف في الأغمـادِ
ورضوا بالتراب بعـد فراش   من حريرٍ موثّرٍ ووسادِ
جمعتهم دارُ المنونِ جميعاً   وهمُ من قبائلٍ وبلادِ
فغدا الضدّ يألف الضدّ طوعاً   وغريبٌ تآلف الاضـداد
ومليك الزمان منهم له الدو   دُ نديم بعد الحسانِ الخرادِ

فاذا كان هذا مسير الانسان ومصيره ، فينبغي للعاقل أن ينظر الى الدنيا نظر معتبر ، وان يجعل مقامه فيها مقام مسافر ، نزل دارها اليوم ويرحل عنها غداً . وان يحاذر منها كل الحذر ، لأنها عدوّ في ثيابِ صديق ، وان يبذر فيها ما طاب غرسه ، وزكا أصله ، ونما فرعه ، واينع ثمره ، وحلا ذوقه ، واعذوذب طعمه . لأنها مزرعة الآخرة ، والمرء يحصد ما زرع . وان لا يحزن على شيءٍ فاته منها ، ولا على شيءٍ انقطع عنه بعد ما اصابه منها ، بل ينبغي له أن ينزل ما اصاب منها ، منزلة ما لم يصب . لأن جوهرَها عرض زائل ، وكسبها خسران مبين . وان لا يتزوّد من الدنيا الاّ

بقدر ما تمسّ الحاجة اليهِ . وأن يقنع بالشيء اليسير منها ، اذ لا شيء اغنى من القناعة . « ومن هضمَ دنياه وزهدَ فيها لآخرته ، لم يحرمهُ الله بذلك نصيبه من الدنيا ؛ ولم ينقصه من سروره فيها . » وان لا يبيع آخرته بدنيا غيره حتى ولا بدنياه

وينبغي للعاقل أن يستقرئ أخبار السالفين وأعمالهم ، فيأخذ بالاحسان منها عملاً ، ويترك القبيح ، ويذهب مذهب من سلك طريقاً هداه الى الحق ، والى الصراط المستقيم ، ويتجنّب منهاج قوم يجرُّ ناهجه الى الضلال ، وسوء المنقلب . وان لا يكون غير ذي دين ، فان الدين رابطةُ الانسان بحلاله وحرامهِ ، وان لا يظن الاّ حسناً ، ولا يكون سيء الاعتقاد في الناس ، فان سوء الاعتقاد روح الفساد

وينبغي للعاقل أن لا يُبغّض الى نفسهِ عبادة ربه ، وان يساوي بين معاشهِ ومعاده ، وان لا يترك مجالاً لنفوذ احدهما على الآخر . وأن يعمل فيها عمل من يأمل أن يموت هرماً ، وعمل من يرجو أن يموت غداً . وان لا يفرح بالكثير من المال اذا ناله ، ولا يحزن لقلته اذا فقد الكثير منه . وان يصنع المعروف مع كل فردٍ من ابناء جنسه . وان يجود على الناس بما وسع الله عليه من الرزق ، وينتهز فرصة نعم الله عليهِ ، فيتفضل بها قبلَ زوالها . لأن الغد وراء الغيب ، والمرء لا يعلم من نفسه الاّ ماضيها وحاضرها . فهو في مستقبله كالأعمى السالك طريقاً وعراً في ليلة ليلاء ، لا يدري أينَ يضع قدمه ، في النار أم في البحر

وينبغي للعاقل ان يكون جلداً صبوراً اذا ما انتابته نوائب الزمان ، وطوارق الحدثان . وان لا يترك حاسديه يشعرون بما اصابه من المصائب . وان يكون ذا حزم واقدام ، وان لا يصدّه أدنى عائق يعيقه عما يحاوله من صعاب الامور . وان لا يتهاون بصغار الاشياء ولا يستعظم في عين كبارها . فان الصغار يلدن الكبار . ومن هاب الشيء العظيم خسر ما دونه

وينبغي للعاقل أن ينظر الى عيب نفسه ، قبل أن ينظر الى عيب غيره . وان

يغض طرفه عن عيب أخيه ولا يفاتحه بهِ مخافة أن يفاتحه بمثله . وأيّ الرجال المهذب

وينبغي للعــاقل أن يتعلم العقل من المجنون ، والحلم من رأي السفيه ، وحسن الاخلاق من سيئها ، والعلم من الجاهل ، والأدبَ من السافل ، والدين من الكافر . وان يأخذ الوفاء عن غدر اللئيم ، والعبرة عن الدهر . واللبيب من اتعظ بغيره

وينبغي للعاقل تهذيب نفسه وتعويدها فعل الخير وكل ما ينفع الناس عامّة ، ورفض ما يضرُّ بهم

وينبغي للعاقل أن يكون صادق اللهجة ، حسن العشرة ، طلق المحيا في سرائه وضرائه . خفيف الطبع وقوراً وفيًا ، تصدق اقواله وافعاله . وان يكون اميناً محبًا للفضل وأهله ، منصفاً يتبع الحق حيث كان ، ويطلبه حيث وُجد

وينبغي للعاقل أن لا يعمل عملاً حتى يتدّبر عاقبة امره كيف تكون – فان كانت حسنة بادر اليه بلا توان ، وان كانت سيئةً وخيمة تركه بلا فشل وندم — فربّ احجام خير من اقدام

وينبغي للعاقل أن يكون سليم القلب واسع الصدر سمحاً صفوحاً ، محبًا للسلم مبغضاً للحرب لأن الحرب داء قتال ، يفتك بالنفوس فتكاً ذريعاً . وان لا يبغي على أحد ، لأن البغي شر والشر يورث الدماء ، وان لا يعادي أحداً ، ولا يضمر سوءا لأحد ، لأن المرء قليل بنفسه كثير بأصحابه

وينبغي للعاقل أن لا يحتقر صغيراً لصغره ، ولا يوقّر كبيراً لكبره ، اذ المرء بأصغريه أو كما قال ابو الحسن علي : «المرء مخبوء تحت طيّ لسانه لا تحت طيلسانه» وأن يأخذ الحكمة ولو نطق بها مجنون ويأخذ ما يوافق رأيه من قول غيره ، ولا ينتقد ما يخالف رأيه منه كونه خالفه . فلكل فردٍ من البشر رأي والكمال لله وحده

(بغداد) كاظم الدجيلي

في رياض الشعر



انتَ يا مَن انتَ في عيـ ني وفي قلبي مصوَّرْ
لك اهدي صورتي فانـ ظرْ اليها وتذكّرْ

نقولا رزق الله

❋ عرس في معركة ❋

نظمت في سنة ١٩٠٢ عقيب ثورة البكسر في الصين

وَقفا للوداعِ ذاتَ عشيّةْ   هُوَ يبكي كالطفل وهْيَ شجيّةْ

وقفةً كلٌّ منهما ودَّع الآ   خَرَ فيهـا مستقبِلاً للمنيّةْ

حالَ دونَ العنـاق بينهما كتـ   مانُ تلك المحبةِ السريّهْ

ففؤادانِ يخفقانِ ولحظٌ   يتنـاجى ولوعـةٌ عذريّهْ

بينما كانَ والداهـا الى الفلـ   ك يؤمّان « مركباً » حربيّهْ

وهْيَ فيهـا مَسُوقةٌ مثلما كا   نت تُساقُ الذبائحُ البشريّهْ

وهديرُ الأمواجِ يدوي وقلبُ الـ   صبِّ عند النوى يهابُ دويّهْ

وصفيرُ البخـارِ يُنذِرُ بالبيـ   نِ وغوغاءُ عصبةٍ نوتيّهْ

رشقتهُ بنظرةٍ ثمَّ قالت   لستُ أنسى هواكَ ما دمتُ حيّهْ

ليَ حُبِّي الذي عرفتَ ووجدي   ولكَ العهـدُ والوفاءُ وصيّهْ

⁂

نشأا عاشقَينِ طفلَينِ كلٌّ   منهما يحسَبُ الغرامَ سجيّهْ

حفظا في الطريقِ والبيتِ والكـ   ـتّابِ سرَّ الهوى وفي البريّهْ

شهدَ الناسُ أنَّ بينَ الصغيريـ   ـنِ ائتلافاً وصحبةً أخويّهْ

ثمَّ شبَّ الهوى كذاكَ رويداً   وكذا للهوى تكونُ المزيّهْ

وقضى اللهُ بالنوى حين جدَّ الـ   ـوَجدُ بينَ الفتى وبينَ الصبيّهْ

اذ قضى الدهرُ أن يكونَ أبوها   كاتباً في السفارةِ الصينيّهْ

نازحاً عن معاهدٍ مرّتِ الغبـ   ـطةُ فيهـا بسرعةٍ برقيّهْ

من بلادِ الألمـانِ موطنِ قومٍ   عُرِفوا بالجهادِ في الوطنيّهْ

وهيَ أرضٌ يعيشُ تحتَ سماء الـ ـعلمِ فيهـا من شاءَ والمدنيَّة
سارَ عنهـا لكي يجاورَ أقوا ماً تساوَوا في الجهلِ والهمجيَّة
صحبتهُ زوجٌ لهُ وابنةٌ عـذ راءُ كانت كأنهـا مسبيَّة
نبذت داعيَ الغرامِ وقامت بفروضِ المحبةِ البنويَّة

* * *

قبل عهدِ التاريخ في الصين أقوا مٌ أقامت مجهولةَ الذريَّة
من بني آدمٍ اذا كانَ حقاً والداً للسُلالةِ البشريَّة
جهلوهُ وأنكروا كلَّ دينٍ غيرَ ما أشركت بهِ الوثنيَّة
كلُّ شيءٍ لديهمِ قدَّستهُ روحُ رب تجول فيـهِ خفيَّة
يجدُ البـاحثُ المؤرخُ فيهم اماً ميتـةً وتُحسَبُ حيَّة
وقفت بين أن تموتَ وتحيى وقفةً خِيلَ أنَّهـا أبديَّة
وأبى الغربُ أن تظلَّ كسدٍّ في سبيلِ الحضارةِ العصريَّة
فصلاَها حرباً يشبُّ لظـاها بينَ عصرِ العلوم والجـاهليَّة
وهيَ حربٌ في الصينِ قامت لأنَّ الصينَ تهوى بقاءهـا صينيَّة
وترى كلَّ دولةٍ دونهـا شأ ناً وبطشاً ونجـدةً وحميَّة
والحديثَ المصنوعَ ألعوبةَ الطفـ ـلِ تراهُ او بدعـةً وحشيَّة
والعدوَّ اللدودَ كلَّ غريب فهي تقضي بقتـلهِ أمنيَّة
مَن يَمت في قتالهِ من بنيهـا نال حظَّ الشهيـدِ في الأبديَّة
سنةٌ ناصبوا بهـا الشرقَ والغر بَ عِـداءً والعلمَ والحريَّة
وتداعوا فقامَ كلٌّ ينـادي اقتلوا الأجنبيَّ والأجنبيَّة
لا تظنُّوا مالاً نهبتم حراماً لا تظنُّوا نفساً قتلتم بريَّة

* * *

بينما كانت الشوارعُ في « با كينَ » تُكسى بحلّةٍ قرمزيَّه

نسجتها أعضاء ميتٍ قتيلٍ او جريحٍ مستهدفٍ للمنيَّه

ومرائي السماء سوداء يغشا ها دُخانُ القذائف الناريَّه

برزت للعُداةِ بكرٌ رداحٌ تتجلّى كأنها حوريَّه

تقذفُ النارَ من يديها فيرتدُّ ونَ عنها بأوجه مشويَّه

وهي تلك التي وصفنا جَواها ووصفنا شؤونها الخبيَّه

كانَ في قلبها بقيةُ صبرٍ ثم زالت باليأسِ تلك البقيَّه

أغضبتها الحياةُ كالحلمِ تمضي وديارُ الحبيبِ عنها قصيَّه

ورأت انَّ قومها بين حصرٍ واسارٍ أشدَّ منهُ أذيَّه

والمنايا اليهم تتمشى عابساتٍ لكنْ خُطاها بطيَّه

فارتمت تقحمُ العدى وتنادي أيُّها الموت خذْ حياتي الشقيَّه

ثم دمّرْ مني سفينةَ يأسٍ بينَ امواجِ دهرِها مرميَّه

رُبَّ صبٍّ قضى شهيدَ هواهُ وشجاعٍ في الحربِ ماتَ ضحيَّه

⁂

قال منهم مقدَّمٌ فتنتهُ، مذ رآها، ألحاظُها البابليَّه

لا تمدُّوا يداً اليها بسوءٍ بل خذوها اسيرةً او سبيَّه

واذا صائحٌ يصيحُ فِراراً يا رجالَ الديانةِ البوذيَّه

داهمتكم مدافعٌ مهلكاتٌ وجنودٌ على الجنودِ قويَّه

نجدة لو دفعتموها لخلَّتْ دُورَ « با كينَ » من بنيها خليَّه

ثمَّ وافى من الفرنجة جندٌ هو عنوانُ وحدةٍ دوليَّه

فلغاتٌ في النُطقِ مختلفاتٌ ونفوسٌ لم تختلفْ في النيَّه

فوقها كلُّ رايةٍ أنزلَ المجــدُ عليها آياتهِ الحريَّه

نظّمتهُ ممالكُ الأرضِ جيشاً　　تتباهى بمثلهِ الجندية
يتمنى الجُنديُّ لو انّهُ الجـ　　ـثّةُ في بعضِ رايةٍ مطويّة
وغدا فارسٌ يشقُّ غبارَ الحـ　　ـربِ بين الكتائبِ البكسريّة
وقعت عينُه على غادةٍ تُـ　　ـتاقُ للسبيِ وهيَ غضبى عصيّة
بين قومٍ صفرٍ اذا الحربُ ثارت　　نفروا كالنعامِ في بريّة
سامَ فيها حبيبةً سامهُ طو　　لُ نواها والوجدُ كلَّ بليّة
هيَ كانت مناهُ لمّا تردّى　　برضاهُ الملابسَ العسكريّة
فدنا لا يرى قيادةَ غيرِ الـ　　ـحبّ بالطوعِ والخضوعِ حريّة
ونجا بالفتاةِ من ربقة السبـ　　ـيِ الى حفلةِ الزواجِ الهنيّة
فاستظلاَّ منها برحمةِ أيدٍ　　شأنها الرفق انها والديّة
سُرَّ ذاك الزواجُ غير العروسَيـ　　ـنِ أباً صالحاً وأمّاً تقيّة
ورفاقاً في الحرب كانوا جنودا　　ثم صاروا من بعدِها جمعيّة
تسأل اللهُ ان يباركَ عِرساً　　قامَ بين المعاركِ الدمويّة

نقولا رزق الله

﴿ بين الشريف وصبري ﴾

سمع اسماعيل صبري باشا بيتي الشريف الرضي ، وهما :

أرى بعد وِردِ الماءِ في القلبِ غِلّةً　　اليكِ ، على أني من الماءِ ناقعُ
وإني لأقوى ما اكونُ طاعةً　　اذا كذبتْ فيكِ المُنى والمطامعُ

فقال مجاراةً لهُ :

يا مورِداً كنتُ أغنى ما اكونُ بهِ　　عن كلّ صافٍ اذا ما بات يُرويني
عندي لمائكَ، والاقداحُ طوعَ يدي　　ملأى من الماء ، شوقٌ كاد يُرديني

﴿ في سبيل الشرق ﴾

لم يبقَ لي الاّ الشبابُ ، وانهُ ديباجةٌ ضمن الأسى إخلاقَها
نزلتْ بهلانَ الهمومُ فلم يُطقْ حتى نزلنَ بكاهلي فأطاقها
وكرهتُها ، ومن الغرائبِ أنني لشديدِ إلفها كرهتُ فراقها
أشتاقُ أطرّحُ الهمومَ ويقتضي ظمأي الى الآلام أن أشتاقها
ولربما عرف المحبُّون التي تجني الشقاء فأصبحوا عشّاقها
شأن الفراشةِ واللهيبِ فإنها تغشاهُ وهو مسببٌ احراقهــا
يشكو الصبابةَ كلَّ يوم مدَّعٍ وأحقُّنا دعوًى بها من ذاقها
لو أنصفتْ تلك الحمامةَ لوعتي نضتِ الخضابَ ومزَّقت اطواقها
يا هذهِ ، حتى الغصونُ لما بها نثرَتْ على وجه الثرى أوراقها
مثلَ التي لزِمَ الخفوقُ جناحَها أصبحتُ مرتكضَ الحشا خفّاقها
داءٌ تحاماه الطبيبُ ، وعلّةٌ طلب العليلُ فلم يجد إفراقهـا
مرَّتْ بنا الأممُ الطليقةُ ، وانثنتْ أخرى تُعالج أسرها ووثاقهـا
هذي الجياد ، فمن تعاطى شأوَها يا شرقُ فيك ومن اراد سباقها ؟
يا مشرقَ الشمسِ المنيرةِ ، انها وأبيكِ شمسك فارقت إشراقها
اما ليـاليكَ التي قد أقمرتْ فلقد طوت لكَ محوها ومحاقها
فاقت وبزَّتْ امةٌ غربيَّـةٌ من بزَّها في المشرقين وفاقها
واذا اراد اللهُ رقدةَ امَّـةٍ حتى تضيعَ ، أضاعها اخلاقهـا
ملكَ الضلالُ زمامها ، فاذا جبت أو أمسكت سببَ المعالي عاقها
رأت العدالةَ لا تروقُ لعينهـا فتلمَّستْ في الليل ظلماً راقهـا
عجلت على البلوى فساقت نفسها للموت ، او عجل البلاء فساقها

ما عذرُ طائفةٍ أضاعت مصرها ان لا تُضيعَ شآمها و عراقهـا

برزتْ وقابلهـا الزمان بسيفهِ فأطنَّ ساعدها وعرقبَ ساقها

أين الذين اذا اكفهرَّتْ اوجهٌ هبُّوا لنـا طُلْقَ الوجوه عتاقها

للهِ اطماعٌ اصابت خُلفهـا فيهم وآمالٌ رأتْ إخفاقَها

نظرتْ الى الُحلمِ الجميل فهاجها ورنت الى الطيفِ الملمّ فشاقَها

او ما تشوقُكَ يا خيـالُ بقيةٌ في أنفسٍ لك كابدتَ أشواقَها ؟

(النجف) محمد رضا الشبيبي

﴿ رائع الشيب ﴾

دَبَّ قتيرُ الشيبِ في مفرِقي سبحانَ من طرَّز هذا الشعارْ

طار الغرابُ الجونُ من فرعهِ ما لغرابٍ فوق فرعٍ قرارْ

قد كنتُ من فودَيَّ في ليلةٍ يا ليت لم يطلع عليَّ النهـارْ

أغضبَني الشيبُ ملمًّا وقد اعذرُهُ لو يكتفي بالعُذارْ

سحابةُ الشعرِ اذا صرَّحت بالبرق فاضت بالدموع الغزارْ

مُلْكُ النجاشي في نواحي الورى ليس سوى بعضِ ليالٍ قصارْ

يسودُّ بختي بالبياض الذي بان على الهامةِ بعد السرارْ

جفَّ رطيبُ الجسمِ يا عاذلي فصرتُ أخشى فيهِ وقعَ الشرارْ

تأمل النسرين في لمتي قابلَ في الوجنة لونَ البَهارْ

قد ضحكَ الشيبُ برأسي وقد ضحكتُ لما قيل هـذا الوَقارْ

نسيب ارسلان

مصارع الادباء

بلغ من بغضيَ للشعر أن صرتُ أعرض عن سوانح معانيه في لوامع قوافيه . القاعد بالجدود عن منازل الشرف ، المتواكل بالعزمات عن بلوغ نهايات الأرب . احدى فتن الخيال . يجري بها البداثة فتتلقاها مسامعُ بالقَبول ، وتتلقاها مسامعُ بالملل . أبعدْ به و بطلابه

يتهادى امراء الذَّهب بين « شولر » و بين « سبلنديذبار » تُساقِط اعطافهم الجنيهات ، ويطوفون حول معاهد الصبوة في عواصم الغرب من « مُنْتْ كارلو » الى « مُنْتْ كارلو » . ثم يأوون الى بيوتٍ كثرت فيها الديكة والحمائم ، ثمَّ يصبحون في لزباتهم يهبون المال في دعاوي ومخاصمات : فطلاق وزواج وميراث وشركة يتخلل ذلك كله لعب الورق واستشارة الوكيل وإدلال الكاتب ، وما ادراك ما الكاتب ، وبيع الاطيان واقتراض المال . بدرانٌ تفيض العسجدَ ، وتنفجر عن ذوب اللُّجين ، والشاعر يريد ان يبيع ديوانهُ « بقرصٍ من الطعمية » فلا يجد مشترياً ، والكاتب يعرض دفاتره مجَّاناً فلا يرى قارئاً فسبحان الله !

عَلَمٌ من أعلام العراق . هو أبو القصائد المحبَّرة والقوافي المحكمة . نزيلٌ بمصر ، مقيمٌ في دار حزنه يعالج أيامهُ ، ويعاني شدائدها وليس بمصر مَن يقول له أين أصبحتَ أيها الأديب العظيم ؟ « أحمد مفتاح » رجلُ البلاغة ، يموت ويدفن ولم تكتب خبر وفاته جريدة من الجرائد فيما علمت . و « محمد امام العبد » وهو شاعر مجيد يُوسّدُ بالأمس التراب ، ولا يتقدَّم أحد ليقيم له ليالي مأتمه . وفي بلاد الغرب يصنعون التماثيل للشعراء ، ويسمّون باسمائهم الشوارع والدوارع ، ويجعلون لميلادهم ولموتهم اياماً في كل سنة هي بمنزلة أيام الأعياد . ويقولون بمصر : الدستور والجلاء والمؤتمر ، وتكتب الجرائد ليحيَ وليسقط . من يحيى ومن يسقط ايها المساكين ؟

لكل آمريءٍ في هذه الأمـة موضع يميّزه ؛ والناس في درجاتهم متقاربون . وليس رجلٌ ينكرهُ معارفه ، ويتجافاه أقرب أقاربه الاّ الأديب . فهو اذا برَّز على أقرانه حسدوه ، وان أقصر عنهم حقّروه ، وان ولج جمّاً جالت فيهِ أبصار المستهزئين . ولله في خلقه اناسٌ يفخرون بملابسهم ، وليست بصنع أيديهم ، ولا انسجتها من نسجهم ، ولا اثمانها من كسبهم ، ولا زينتُها تجمل ما قبح من اشكالهم . اولئك يطاؤون الهامات ، ويذلّون الرقاب ، ويتهادون في كل مزدحمٍ ، تهاديَ الكواعب الرُّود في الوشي والبرود . طواويسُ الرجال يقضون طوال الأعوام في ديوان الحياة ، ثم يخرجون منهُ كما تخرج الأنعام من تحت السقائف ، لا متزودين ولا مستخلفين . الى حيث ألقت رحلها !

⁂

ننظر الى الكتاب المطبوع باحدى اللغات الأجنبية فنرى مكتوباً على جلدهِ : الطبعة العشرون والطبعة الخمسون واكثر من ذلك . وقد يكون عدد نسخ الكتاب ، في الطبعة الواحدة ، عشرة آلاف على الأقل ، وليس في الشرق كتاب طُبع مرَّتين الاّ نادراً او ما كان متضمناً للمجون . وجرائدنا يأكل مشتركوها اثمان اشتراكهم فيها ، ويكتفي قرّاؤها بنسخٍ يأخذونها من المشتركين ، او يقرأونها في القهوات . وقد يبالغ في الغرابة بعضهم فيردّ الجريدة مكتوباً عليها (مرفوضة) بعد ان يكون قرأها أشهراً وأياماً . وأغرب منهم من جاءته جريدة « الجامعة العثمانية » وهي جريدة كانت تنشرها « الجامعة العثمانية » في بيروت ، وتعطيها من دون ثمن ، ويُكتب على غلافها « مجاناً » فردَّ الرجل الجريدة بعد ان كتب على غلافها بالعربية والفرنساوية « مرفوضة » . رفضَ الفضل ورفض الكرامة . لا طال ذنب زمانه ! ولم يخجله كرَمُ الذين أحسنوا بها عليهِ احساناً لم يقع على مستحقّهِ . ومثل هؤلاء المخلوقات كثير بيننا ولا فخر !

يموت ادباؤنا ، وتُطفأ أنوار المعاني في عقولهم ، وتبقى بيوتهم خالية وأجداثهم داثرة ، وليس فينا من تحدّثهُ نفسهُ بأن ينقبَ عن آثارهم ، وينشرَ للأمة ما طويَ من معارفهم إقراراً بفضلهم ، وتخليداً لذكرهم ، واستفادة من آثار قرائحهم . ونحاول بعد ذلك أن نجاري الأمم او أن نُشبه عباد الله . ما اكبرَ جهلنا باقدارنا ، وما أبعدنا عن مواضع الانصاف

لا أديبُ العراق أجدتهُ فرائده ، ولا الأستاذ مفتاح هنأته بلاغته ، ولا امام العبد أغناهُ شعره . وانَّ نسخة من قصة « القاضي والحرامي » او قصة « دليلة المحتاله » لأحبُّ الى عامتنا ، وأشهى الى خاصّتنا من درر هؤلاء العظماء وجواهرهم ، وأدعى للشجون ثم أبعثُ للطرب من قصائدهم وفصولهم . سقاهم الله ! رعاهم الله ! عاشوا مظلومين وماتوا مظلومين . وأودعتْ بطون المقابر كنوزاً يتباهى بامثالها ملوكُ الأرض . يروى أنَّ بعض الانكليز يقول « لو خُيّرنا بين أن نخسر الهند كلها أو نخسرَ شكسبير لاخترنا خسارتنا للهند ، ولأبقينا شاعرَنا عوضاً عنها » ونحن ماذا نقول ؟ نقول لتحيَ الديكة والحمائم ، أم نصيح ليحيى الدستور ؟؟

انا لنطمعُ اليوم في ان ننال ما لا يتاح لنا الاّ بعد خمسين عاماً فمثلنا مثَل جماعة من العميان قيل إنّهم ركبوا أحدَ المعابر (القوارب) ليعبروا النيل . فقال قائلهم : هل لكم في الخروج من المركب من غير ان تدفعوا اجراً ؟ قالوا بلى . قال : اذن فاسمعوا لما أقول . اذا قارب المعبرُ الشاطئ صاح النوتي . « فلق » . فثبُوا هنالك وثبةَ رجلٍ واحد ، وتفرّقوا هرباً ، واعلموا أنهُ لا يترك معبرَهُ ويعدو وراءكم . فقبلوا المشورة . وكان النوتيُّ يسمع المؤامرة وهم لا يشعرون . فلما توسّط النهر صاح . « فلق » . فوثبَ العميان فوقعوا في البحر وغرقوا . واني لأخشى ان ينادينا الغرورُ نداء النوتيّ فنغرق غرق العميان

الأمة في حاجة الى نوابغها ، ونوابغها غرباء بينهما ، والصوت الأرنّ والقول

المسموع ما يهتف بهِ قوم صمتت ألبابهم ، ونطقت ألسنتهم . هم المسيطرون وهم الزعماء

حَسْبُ الأديب في الشرق نعوتاً تكال له كيلَ الحشف . فهو الأديب الفاضل ، والشاعر البليغ ، والكاتب البارع ، واللوذعيّ والالمعيّ وغير ذلك . وليت هذهِ النعوت تحبى لمن تصدق فيهِ ، او فيمن تكاد تصدق فيهِ . ولكنهُ مشارك فيها مشاركة الغبن . أهل البلدة كلهم ادباء فضلاء بلغاء فصحاء ، ما سلم من ذلك ملكٌ ولا سوقة . واظنُّ هذه هي المساواة التي يطلبها مجانين الدستور ، لا المساواة في الحقوق التي يثني عليها أهل الانصاف

ألا مَن مبلغٌ عني كلَّ أديب في الشرق أنهُ أديب وانهُ فاضل ، وانهُ لوذعي ، وانهُ ألمعي ، وانهُ فصيح ، وانهُ بليغ وانهُ عند الناس وجودُهُ مثل عدمهِ ، وانهُ أهون على امراء الذهب من ديكٍ من ديكة الهند ، او من حمامةٍ من حمائم اليمن

كنت ذات يوم راجعاً من دار البريد وفي يدي سيكارةٌ هي أخرى اخواتها . فمرَّ بجانبي رجلٌ يسرع في مشيتهِ ، فاستطارها من يدي حتى وقعت على الأرض ! وكان اليومُ شديدَ الهاجرة لافحَ الحر . فلما توسطت الشارع رأيت عربةً نظيفة فيها رجلٌ من رعاع القوم ، وامامه اثنانِ من الأوزّ . ثلاث رفقةٍ في خير عربةٍ ، يقودها جوادانِ مطهَّمان . فرفعت طرفي الى السماء وقلت : يا ربّ تُلهمني الشعرَ ، وتُجري يراعيَ بما يستطيعُ من النثر ، وتجعلُ عبادك يدعونني بالأديب إن صدقاً وان كذباً ، ثمَّ أرى أني أحقرُ من الاوز في هذا الشرق ؟؟ ثم انصرفت صابراً

هذا ميدان واسع ، يتعب الجائل في ارجائهِ . ولولا حقوقٌ للأدب وأهله ما سطّرتها . ثلاثة اخوانٍ : مكروبٌ ودفينان . أما الرثاء فبعضُ ما يجب ولن يفوتني ما استطعت منهُ ، وأما النحيبُ فاني سوف انتحب . فمَن لي بمَن يساجلني الدمعَ ، ويشاركني في الشكاية . اما أنّا لمظلومون ! !

ولي الدين يكن

تأثير الدين في المدنية

أهمُّ المبادئ التي تسير عليها الأمم، وتُعتبر منار التاريخ وعماد الحضارة ، المبادئ الدينية ؛ وقد كانت على الدوام أهمّ عنصر في حياة الأمم ، وهي لذلك أهمّ عنصر في تاريخها . فأكبر حوادث التاريخ التي أنتجت أعظمَ الآثار هو قيامُ الديانات وسقوطُها . وأوّلُ المسائل الأساسية ، في الازمان الغابرة وفي الازمان الحاضرة ، المسائلُ الدينية . ولو ان الانسانية رضيت بموت جميع آلهتها لكان هذا الحادث أعظمَ الحوادث التي تمّت فوق وجه الارض منذ ظهرت المدنيات الاولى

لا ينبغي لنا أن ننسى أنّ جميع النظامات السياسية والتدبيرات الاجتماعية قامت ، منذ بداية التاريخ ، على معتقدات دينية ، وأن الآلهة هي التي لعبت أكبر دور في الحياة الإنسانية ، وأنّ الدّين أسرع مؤثر في الاخلاق لا يدانيهِ مؤثر اللهمّ الاَّ الحب ؛ والحب دينٌ ، الاّ أنهُ دِين ذاتيٌّ غير دائم . واذا أردت ان تعرف على أي حال تكون الامة التي اهتاجها خيالُها فانظرْ الى فتوحات العرب والحروب الصليبية والاضطهاد الاندلسي وحال انكلترا أيام « البوريتيين » و « سانت بارتلمي » في فرنسا وحروب الثورة الفرنساوية . الاّ أن للأوهام سحراً مستمرّاً شديدَ التأثير يتغير بهِ المزاج العقلي تغيراً كلياً . خلَقَ الانسانُ الآلهةَ ولكنها ما لبثت ان استعبدتهُ . وانها بنتُ الأمل لا بنتُ الخوف كما وصفها «لوقريس» لذلك كان تأثيرها سرمديًا . لقد كان من تأثيرها فيهِ أن جعلت عقله متشبعاً بفكرة السعادة فامتازت بذلك على كل مؤثر سواها ، وقصرت الفلسفة عن ادراك هذه الغاية حتى الآن

نتيجةُ كل حضارةٍ ان لم نقل غايتها ، وكلِّ فلسفة ، وكلِّ دِين ، تكوينُ حالاتٍ عقلية خاصة ، بعضها يقتضي السعادة ، و بعضها لا يقتضيها . وترجع السعادة

الى أحوال النفس اكثر مما ترجع الى الاحوال الخارجة عنها . فلربما كانت الضحايا فوق مواقدها أسعد من قاتليها . وكم فالح ارض بيديه يقضمُ الكسرة مفروكةً بالتوم أسعدُ بكثيرٍ من موسر متدفق الثروة تكاثفت حولهُ الهموم

ومن دواعي الأسف أنَّ الحضارة في هذا الزمان خلقت للانسان جمعاً من الحاجات ، ولم تُعطهِ وسائلَ دَفعها ، فتولَّدَ من ذلك عدمُ الرضاء في النفوس . قالوا الحضارة بنت الرقيّ . نعم وهي أمُّ الاشتراكية وأمُّ الفوضى . وهما صوتان مريعانِ تصيح بهما جموعٌ قلَّ ايمانها فاستولى اليأس على قلوبها . أين حال الأوروبي الذي تولّاه القلق ، وهاجت اعصابهُ وأصبح غير راضٍ بحظهِ ، من حال الشرقي الراضي بما قدر له . انما الفرق بينهما في حالة النفس دون سواها . وانما يُغيّر الامة مَن يُغيّر من تَصوّرها ، ويجعلها تفكّرُ وتعمل غيرَ ما عملت

يجبُ على الهيئة ان تسعى في ايجادِ حال عقلية يكون فيها الفرد سعيداً والّا فأجَلُ الامة قصير . فما قامت الأمم حتى الساعة الّا متكئةً على خيالٍ فيهِ قوَّةُ اجتذاب النفوس ، وما سقطت واحدة منها الّا بزوال سلطان هذا الخيال

من اكبرِ خطأ هذا الزمان اعتقادُ الناس انَّ النفس تجدُ السعادة في الاشياء الخارجة عنها . قل انَّ السعادة فينا ونحن الذين نوجدُها . وشذَّ ما كانت بعيدة عنا . انّا هدمنا خيال العصر الماضي فصرنا نرى انهُ لا حياة لنا من بعد هذا الخيال ، وانّا اذا لم نوفق الى الاستعاضة عنهُ فإنا هالكون

اكبرُ المحسنين لبني الانسان الذين يجب على الأمم ان تُقيمَ لهم أفخم التماثيل من الذهب الوهاج ، هم اولئك السحَرة القادرون الذين خلقوا لها الخيالات . اولئك يولدون احياناً بين البشر ، ولكنهم لا يولدون الّا قليلاً . أقاموا امامَ سيول الآمال الفانية — وهي الحقائق التي لا قدرة للانسان على معرفة غيرها ، وفي وجه هذه الدنيا العبوس الجامدة — حجاباً من الأوهام القوية فسروا عن الانسانية ، وستروا ما في

الحياة من غضاضة ومَضض ، وخلقوا جنات النعيم فنيطَ بها الرجاء وتوالت الاحلام

وإذا رجعنا الى الجهة السياسية علمنا أيضاً كيف كان تأثيرُ المعتقداتِ شديداً .
والسببُ في قوة الدين العظيمة كونهُ العاملَ الوحيدَ الذي تتوحَّد بهِ وقتاً ما منافع الأمة ومشاعرها وأفكارها . فيقوم المبدأ الديني بذلك دفعة واحدة مقامَ غيره من العناصر التي يتكوّن منها روحُ الأمة والتي لا تنتج هذه النتيجة الاّ اذا أربت وتمَّ نضجها بالوراثة . نعم لا يتغير مزاج الأمة العقلي بمجرَّد استيلاء دين على قلبها ؛ غير انَّ جميع القوى تتجه نحو غاية واحدة هي الانتصار للمعتقد الجديد ، وفي ذلك سرّ قوتها العظمى . لذلك تجد ان قيام الأمم بأعظم الأعمال كان في عصر هذا التطوُّر الوقتي أعني عصرَ تدينها ، وتأسيسَ اكبر الممالك التي ادهشت العالم كان في عصر تدينها . كذا اتحدت بعض قبائل العرب بفكرة محمد (صلى الله عليهِ وسلم) فاستطاعوا قهر أمم كانت لا تعرف منهم حتى الأسماء . وشادوا تلك الدولة الكبرى

وعليهِ يتضح انهُ كان للدّين شأن كبير في سياسة الأمم لأنهُ هو العامل الوحيد سريعُ التأثير في أخلاقها . نعم ان الآلهة ليسوا خالدين ، ولكنَّ المبدأ الديني باقٍ لا يزول . يغفى زماناً ، ثم ينشط متى ظهر ربّ جديد . وهو الذي استطاعت بهِ فرنسا وحدَها منذ قرن ان تقاوم اوروبا كلها . فعرف البشر مرَّة اخرى درجة تأثير المعتقدات الدينية . لأن الافكار التي امتلكت العقول في ذلك العصر كانت في الحقيقة ديناً جديداً نفخَ في الأمة من روحهِ فأنعشها . لكنَّ الآلهة التي برزت من خلال تلك المعتقدات كانت لطيفة المادة فلم تدم الاَّ قليلاً ؛ على ان سلطانها ، مدَّة وجودها ، كان سلطاناً كبيراً

بعد ذلك نقول ان قدرة الديانات على تغيير روح الأمم قدرة فانية . فقلما تدوم المعتقدات على قوَّتها الاولى زمناً يكفي لتغيير الخلق تغييراً تاماً . سببهُ انَّ قوَّة الاحلام لا تلبثُ أن تفتر ويرجع المأخوذُ بسكرتها بعض الرجوع الى اليقظة فتظهر حقيقة الخلق العتيق

يظهر على الدوام خُلق الأمة حتى وسلطان الدين في منتهى شدته فتراه في الصبغة التي انصبغ بها الدين عند الامة التي اعتنقتهُ ، وفي المظاهر التي تنشأ عنهُ . انظرْ الى الفرق العظيم بين المعتقَد الواحد في انكلترا واسبانيا وفرنسا تجد انهُ كان من المستحيل ظهور « البروتستنتية » في اسبانيا أو رضى انكلترا باقامة الاضطهاد (محكمة التعذيب) بين ربوعها ؛ بل تأمل حال الأمم التي دانت بالبروتستنتية تظهر لك أخلاقها الأساسية الاولى بادية عليها ، وأنها بالرغم من افتتانها بمعتقداتهـا ، لا تزال محتفظة بمميزاتِ مزاجها العقلي ، اعني الاستقلالَ ومضاء العزيمة وتدبرَ الامور قبل الأخذ بها وإباء الخنوع والاستذلالَ لسيّد يصدر في امره عن الهوى

يتولّد تاريخ الأمم السياسي والادبي والفني من معتقداتها ؛ الآ ان هذه كما تؤثر في الخُلق تتأثر ايضاً بهِ . فمفاتيح حياة الامة خلقها ودينُها . والاول دائم من حيث صفاته الاولى ، وعدمُ تغيره هو السبب في وحدة تاريخ كل امة واطراده . أما المعتقدات فقابلة للتغير . وتغييرُها هو السبب في انَّ التاريخَ يحكي كثيراً من الانقلابات في الامم

اليوم تميل الامم القديمة الى السقوط . فهي تهتزّ من الوهن ، ونظاماتها تتداعى واحداً إثر واحد . وعلة ذلك فقدانها كل يوم شيئاً من ايمانها الذي قامت عليهِ حتى الآن . فاذا فقدتهُ كله قامت حتماً مقامهُ حضارةٌ جديدة مؤسسة على معتقد جديد . لأن التاريخ يدلنا على ان الأممَ لا تحيا طويلاً بعد اختفاء معبوداتها ، وأنَّ الحضارات التي جاءت مع تلك المعبودات تذهب بذهابها . ألا لا شيء أفعل في التخريب من أثرِ معبودٍ يموت

احمد فتحي زغلول
وكيل نظارة الحقانيـة

في جنائن الغرب

أنشودة روسية

من العادات المتبعة في روسيا انه يحق للقيصر ان يطلق امرأته ويبعدها الى أحد الاديرة اذا لم تضع له ولياً للعهد . وقد عثرنا على أنشودة يتغنى بها القرويون في روسيا تصف حالة القيصرة عند تركها القصر الامبراطوري ، فأحببنا ان نترجمها لقراء « الزهور »

كلٌّ حزينٌ في موسكو ، لأنَّ القيصر غضب على القيصرة وأبعدها عن عينهِ

أرسلها الى هناك ، الى ما وراءَ جدران الدير

وبينما كانتِ الأميرةُ تمرُّ بالقصر ، أخذت تنوحُ وتبكي قائلةً :

« أيها القصرُ الأبيض المفروش بالمخمل والحرير ، أما من عودةٍ اليك ؟

« أما من عودةٍ اليك ، فأروِّحَ النفس بين جدرانك ، وفي رياضك الغنّاء ؟

« أما من عودةٍ اليك ، فأرى سيدي القيصر ، وأسمعَ كلامهُ العذب ؟ »

كلٌّ حزينٌ في موسكو ، لأن القيصر غضِب على القيصرة ، وأبعدها عن عينيهِ

خرَجت القيصرة من القصر ، وقفتْ في السلّم ، فتنهدت وقالت للحرس بصوت متقطّع ، والعبَراتُ تخنقها :

« أسرجوا الخيلَ للرحيل ، فقد أزفت ساعةُ الفراق ، سيروا رويداً ، واخرجوني على مهل من موسكو

عسى سيدي أن يرقَّ ، عساهُ ان يرثي لحالي »

وكان جواب الحرَس « عساه أن يرقّ ، عساه ان يرثي لحالكِ ! »

لكنَّ قلبَ القيصرِ كجدران قصرهِ صلْبٌ ، لا يرقُّ ولا يلين

في الدير ، تقرعُ الاجراس حزناً لاستقبال القيصرة الحزينة

كلٌّ في موسكو حزينٌ ، لأن القيصر غضب على القيصرة وأبعدها عن عينيهِ !

✱ الدموع ✱

أنِست بسمعي حنين «دمع الفتاة»[1]؛ وكئِبتُ في نفسي لذرف دمع العذراء . ورشفت بيدي كأس دمع الفؤاد . فأحزنني الاول ساعةً ذكرتها العمر؛ وسهّدني الثاني ليلةً سقمت بعدها الشهر؛ وأسكرني الثالث مدةً آلمتني الدهر

ما هاجت اشجان الروح الاَّ وسالت من الأنامل على الأوتار دموعاً؛ وما امتلأ اناء النفس الاَّ وفاض من المقل على الخدود دموعاً . وما اشتدَّت لوعةُ الفؤادِ الاَّ وانسكبت في الصدر دموعاً

الدموع أنشودةُ النفس مع تسابيح الملائكة

همسُ القلب في أذن الفضاء

حديثٌ بلسان الحمام النائح

الدموع اكليلٌ، أزهاره الكآبة الصامتة، ينثرها اليأس على ضريح الأمل

قريض تنظمه العيون

عبير العنبر المحترق

أشواك ورد الهوى

أزهار العاطفة، تنبتها المحبة، ويسقيها الحنان، فيجنيها الجوى

بنات الشعور، يحبل بها الألم، وتتمخض بها النفس، فتلدها الحسرة

فديتُ بنفسي عواطف تتحرَّك في الصدر فتئنُّ لها الجوامد . تذرفها الروح دموعاً من الأنامل فتكفكفها الملائكة بأنفاسها وتجففها بحفيف أجنحتها لتصعدها الى العرش الأعلى كبخور العفاف او كبخار ذبيحة الطهر

دموعٌ ليست عبرات ڤردي[2] الاّ أبردها ناراً، وأخفها ألماً

---

(١) دمع الفتاة (Larmes de jeune fille) قطعة موسيقية لواضعها كوستاف لانج

(٢) العبرات (Le lagrime) قطعة من الترافياتا (La Traviata) اوبره لواضعها فردي (Verdi) الموسيقي الشهير

والهف قلبي على شمائر شواعر ، يثيرها الشجن فتحمرّ الخدود ، ثم تنصبُّ في المحاجر كما يصبّ الصبح الندى في أفواه الصدَف لتتحوَّل الى قطرات لا تبلغ لآلئ العالم بأسرها عشر معشار ثمنها

ويح الحشا من قطرةٍ . لو سقطت على الحجر القاسي لرقّ وذاب حرقةً

اما الفؤاد الذي كان نصيبه من الجهاد لهفة ودموعاً ، فليشرب الكأس حتى الثمالة . عساها ان تبرّد بمرارتها لهيباً أشعله الوجد ، ونفخت فيهِ الصبا . ليبكِ بدمع المداد وبمقلة الغمام ، مع الصفصاف المستحي والزهرة المائلة الى الذبول ، والنجم السائر الى الأفول . والقدّ المائل الى النحول

ليكفِّرَ بدمعه عما جناه بحبهِ فكان عليـهِ عوضاً عن النعمة نقمة ، وعن العذوبة عذاباً . لعل النحيب يروي غليله ويشفي عليله

لو لم تخفف الدموع اشجان الروح ، وتسكّن احزان النفس ، وتبرّد حسرة الفؤاد . لذابت معها الحياة ، وذوت في ربيعها زهرة العمر

(حلب) **يوسف تونل**

الصداقة

قال عليّ بن أبي طالب لابنهِ الحسين : ابذلْ لصديقك كلَّ المودّة ، ولا تطمئن اليهِ كلّ الطمأنينة ؛ واعطهِ كلَّ المؤاساة ، ولا تفشِ اليهِ كل الاسرار

قال المأمون : الاخوان ثلاث طبقات . طبقة كالغذاء ، لا يُستغنى عنهُ ، وطبقة كالدواء يُحتاجُ اليهِ ، وطبقةٌ كالداءِ الذي لا يحتاج اليهِ

في حدائق العرب

حبُّ الوطن

قال عُمر بنُ الخطّاب : لولا حبُّ الوطن لخرب بلدُ السوءِ . وكان يُقال : بحب الأوطان ، عمرتِ البلدان

وقال جالينوس : يتروَّحُ العليل بنسيم أرضهِ ، كما تتروَّحُ الأرضُ الجدبة ببلّ المطر

وقال بقراط : يداوى كلُّ عليلٍ بعقاقير أرضهِ ، فان الطبيعة تنزعُ الى غذائها . ومما يؤكدُ ذلك قول اعرابي وقد مرض بالحضر ، فقيل لهُ : ما تشتهي ؟ — فقال : مخيضاً رويًّا ، وضبًّا مشويًّا

وقيل : إحفظ أرضاً أرسخك رضاعُها ، وأصلحك غذاؤهـا ، وارعَ حمى اكتنفك فناؤه

وقيل : من علامة الرشد ان تكون النفس الى اوطانها مشتاقة ، والى مولدها توّاقة

وحدّث بعض بني هاشم ، قال : قلت لاعرابي : من أين أقبلت ؟ — قال من هذه البادية . قلت : وأين تسكنُ منها ؟ قال : بساقط الحمى ، حمى ضرّية ، ما إن لعمر اللهِ أُريد بها بديلاً ، ولا ابتغي عنهـا حولاً ، حفّتها الفلوات ، فلا يملولحُ ماؤها ، ولا تحمى تربتها ، ليس فيها أذى ولا قذى ولا وعكٌ ولا موم ؛ ونحن بأرفه عيشٍ ، وأوسع معيشة ، وأسبغ نعمة ؟ قلتُ : مما طعامكم ؟ قال : بخ بخ الهبيد والضباب واليرابيع مع القنافذ والحيّات ، وربما واللهِ أكلنا القد ، واشتوينا الجلد ، فلا نعلم أحداً أخصب منا عيشاً ؛ فالحمدُ للهِ على ما رزق من السعة ، و بسط من حسن الدعة

وقيل لاعرابي : : كيف تصنع بالبادية ، اذا انتصف النهار ، وانتعل كلُّ شيء ظلَّهُ ؟ فقال : وهل العيش الاَّ ذاك ، يمشي أحدنا ميلاً ، فيرفض عرقاً كأنهُ الجمان ، ثمَّ ينصب ُعصاهُ ويلقي عليها كساهُ ، وتقبل الرياحُ من كل جانب فكأنهُ في ايوان كسرى

وقيل لآخر : ما الغبطة ؟ قال : الكفاية ، ولزوم الاوطان ، والجلوس مع الاخوان ، وقيل : فما الذل ؟ قال : التنقُّل في البلدان ، والتنحي عن الاوطان

وكان يُقال : الغريب عن وطنهِ ومحل رضاعهِ كالغرس الذي زايل أرضهُ ، وفقد شربهُ ، فهو ذاوٍ لا يُثمر ، وذابل لا ينضر . . . والجالي عن مسقط رأسهِ كالعير الناشز عن موضعهِ الذي هو لكل سبعٍ فريسة ، ولكل كلبٍ قنيصة ، ولكل رامٍ رمية

وقال الشاعر :

نقّلْ فؤادك حيث شئتَ من الهوى ما الحبُّ الاَّ للحبيبِ الأولِ
كم منزلٍ في الأرض يألفُهُ الفتى وحنينُهُ أبداً لأول منزلِ

(عن الجاحظ)

المتوفى سنة ٢٥٥ هـ = ٨٦٨ م

﴿ خواطر ﴾

« لكارمن سيلفا ملكة رومانيا الحالية »

* يسمّون غالباً بسليم الطويّة مَن ليس بذي عقل نبيه !
* متى وُجد المرء في حالة محزنة ومركز حرج غلبت على لسانه الترَّهات . ألا ترى ان الكلب يعوي متى خاف
* ذوو العقول يحجبهم ذوو العظمة كما تُحجَب النجوم امام الشمس !

اندية الأدباء الحرة

نعت « الماتين » الى قرائها ، في احد اعدادها الاخيرة ، قهوة من قهوات باريس المعدودة وهي القهوة الانكليزية Café Anglais وقالت ان أعضاء « الجوكي كلوب » حضروا احتضارها واحتفلوا تحت رئاسة البرنس بواقيم مورات بتأبينها وعزى بعضهم البعض على تصرم أنفاسها ثم ودعوها الوداع الاخير بأن شربوا مئات من زجاجات الخمور التي طال عليها القدم منها ما يرجع عهد عصيره الى سنة ١٨٧٤ والى سنة ١٨٦٥ والى سنة ١٨٥٨

ومن غريب الاتفاق ، انني بعد مطالعة هذا النعي ، أتاني صديق من زبائن الاسبلندد بار وقال : البقية في حياتك ! فقد عزمت شركة استين على استئجار نصف عمارة الخاصة الخديوية المشرفة على شارع كامل فتصبح الاسبلندد بار ، وهي محط رحال الأدباء ورجال القلم ، أثراً بعد عين ! ! فأخبرت صديقي بنبأ الماتين عن القهوة الانكليزية وقلت له : اذا صحَّ خبرك فليست الاسبلندد بار اول نادٍ حر للأدباء تذهب بِهِ الأيام او ينطوي ذكره ولا يخلد له خبر

وربما لا يوجد الآن في مصر عشرة يذكرون قهوة « انطون » وهي قهوة خشبية كانت مجمعاً للأدباء والمشتغلين بالسياسة والفلسفة في أواخر ايام اسماعيل. ففيها جلس جمال الدين ومحمد عبده وسليم تقلا وتحت ظلال اشجارها غرست اول بذرة لفك الشرقيين من قيود الاستعباد الفكري . وبقيت ملتقى لذوي الافكار الناضجة حتى عهد الثوره العرابية . ثم تحوَّلت ندوة للمغنى والرقص «البلدي» وأنشئت في مكانها عمارة بنك الكريدي ليونيه الحاضرة

ورغب الكثيرون من اهل الأدب ، بعد الاحتلال الانكليزي ، عن السياسة وتفرغ رجال النهضة الأدبية الى الأدب الخالص فاتخذوا قهوة « كتكوت » بشارع

المشهد الحسيني محطاً لرحالهم فكنت ترى في هذه القهوة « البلدية » الشيخ الشنقيطي الكبير ، والشيخ حسن الطويل ، وسلطان بك محمد — ايام كان شيخاً معمماً — والشيخ محمد النجار ، ومحمد افندي ابا الفضل ، والشيخ أحمد القوصي، والشيخ عبد الرحمن قراعة ، والشيخ سيد المرصفي وغيرهم . وكانت مجالسهم الليلية في هذه القهوة مجالس ادب راقية يتناشدون فيها الشعر وينثرون درر النثر ، ويتنقلون في رياض الأدب والتاريخ والمنطق من القديم الى الحديث . ثم فرقت بينهم أيدي الحدثان فمات البعض واشتغل البعض بشؤون الحياة وأصبحت قهوة « كتكوت » وقد خلت جوانبها من ذوي الألباب والفطن

وانشقّ اساتذة مدرسة دار العلوم وطلبتها عن اخوانهم طلبة الازهر الشريف فتألفت من اولئك حلقة جديدة في « قهوة باب الخلق » كان زعماؤها الشيخ أحمد مفتاح والشيخ الحملاوي والشيخ محمود ابو النصر والشيخ محمد المهدي يحيط بهم عدد من الانصار والمريدين من تلاميذ المدارس العالية وطلبة مدرسة المعلمين الناصرية

ثم تغلب الاشتغال بالسياسة على النظر في الادب فكانت قهوات عمارة « متاتيا » الواقعة الى جانب البوستة والمحكمة المختلطة مثابةً لرجال القلم . فكان يجلس في طرفها المدعو « القهوة العمومية » الشيخ عبد القادر المغربي وعبد الحميد افندي الزهراوي والمرحوم حسين وصفي رضا — أخو صاحب المنار — وامام العبد والشيخ محمد الشرباتلي وعهدنا بالآخر ليس بعيداً . فقد كان يحرّر في القهوة كل يوم اربع او خمس جرائد اسبوعية فيأتيهِ صاحب احدى هذه الجرائد ويدفع له الاجرة فيقوم بعد ساعة ومعهُ كتابة تزيد على حاجة جريدته

واحتلّ القسم الاوسط المسمى قهوة « جراسمو » المرحوم ابراهيم بك المويلحي والى جانبه احمد افندي فؤاد صاحب الصاعقة وحافظ بك ابراهيم — قبل ان يضع رواية البؤساء ومحمود افندي واصف

واستأثر بقهوة « اسطمبول » — في عمارة متاتيا ايضاً — كتّاب الترك الاحرار

الذين نفتهم الحكومة العثمانية في عهد عبد الحميد ففيها كتب محمد افندي قدري – الكاتب التركي العربي الشهير – وأحمد بك سعيد – ناظر الضربخانة العثمانية سابقاً – وصاحب « ميزان » أبلغ رسائلهم التي هزّوا بها اركان السلطنة العثمانية وفيها بدأ السيد عبد الرحمن الكواكبي يبث آراءه الحرة في اصلاح الشرق وأهله

واتخذ بعض الادباء السوريين قهوة « مصوبع » بالفجالة « محلاً مختاراً » لاجتماعهم وكان يرأس هذه الاجتماعات الاستاذ ابراهيم افندي الجمال ويحضرها المرحوم ميشيل الحكيم وابراهيم افندي النجار والمرحوم خليل الجاويش وأخوه نجيب افندي الجاويش فيقضون ساعة ظهر كل يوم الى جانب البنك فيتناولون « الابريتيف » ممزوجاً بما رقَّ وراق من بدائع المنثور والمنظوم

وراقت قهوة الشانزيليزيه في عيني حضرة العالم الفاضل صاحب الهلال ولكنهُ أبى ان يختلط بزبائنها فألف له حلقة من الادباء وبعض كبار موظفي الحكومة الذين يميلون الى الادب والادباء. فكان يحضر جلستّهم كل ليلة سليم بك باخوس مدير الاموال المقررة في محافظة مصر وعزيز بك ابو شعر الموظف في نظارة الاشغال وحبيب بك دبانة من كبار موظفي المالية سابقاً ونعوم بك شقير مدير قلم التاريخ في نظارة الحربية. وكان يتردَّد اليهم من حين الى آخر الشيخ يوسف الخازن ونجيب افندي مشملاني واخوه نسيب وانطون الجميّل وامين تقي الدين وولي الدين بك يكن وسليم افندي سركيس. ومع ان القهوة عامة فان الغرف التي حجزت لهذه الفئة المباركة لم يكن يجسر على ولوجها غير اصدقائهم ومن يدعونهم لمشاركتهم في مباحثهم الادبية الرائقة

وكانت « المحروسة بار » معروفة لسنوات خلت بأنها مؤتمر عصبة شاعر الامير احمد بك شوقي. وكان شوقي نقطة الدائرة ويزين المكان بجانبه خليل المطران ويحيط بهم عشرات من ادباء المصريين ورجال القلم الفرنسويين وفي مقدمتهم كاستنر وكولورا وغيرهما فيقرعون الكاس بالكاس ثم ينصرف كلٌّ الى مكتبته

ويمتشق قلمه لمحاربة زميله الذي شرب معهُ المدامة سائغة ! !

وزهت دولة التمثيل والممثلين تحت زعامة المطرب المبدع الشيخ سلامه حجازي فعمدوا الى « بار بريكلي » امام مرسح اسكندر افندى فرح فلم تكن تقع العين في هذا البار الاّ على ملحن ينشد دوراً او ممثلة تراجع فصلاً او مترجماً ينقل رواية جديدة ففي ناحية فهيم وأبو العدل وعلى مائدة مريم سماط وميليا ديان . وفي منعرج الياس افندي فياض وعبد الرزاق بك عنايت وفي غرفة اللعب جماعة آخرون ممن ضايقتهم جلبة زملائهم ففضلوا عليهم كسب او خسارة بضع قروش في لعبة السبعة ونصف

وأنشأ المسيو « اندريا » في شارع عابدين قهوة خصصها لطلبة مدرسة الحقوق الخديوية وعنونها باسم مدرستهم فتهافتوا عليها وانضم اليهم جماعة من طلبة مدرسة القضاء الشرعي و بعض طلبة المدارس العالية الذين يسكنون في حي عابدين . فكان الجالس في هذه الندوة لا يسمع الاّ اسم فوستان هيلي ودالوز ومناقشات فتيان القضاء في الشؤون الادبية الحاضرة والاحوال السياسية الداخلية . ولبثت هذه القهوة زائرة بأهلها حتى أنشئ نادي المدارس العالية وعنيت الحكومة بمراقبة التلاميذ ومنعتهم عن الاشتغال بالسياسة ثم سميت قهوتهم قهوة « الحزب الوطني » فقهوة وبار « القمر » ولا يزال الكثيرون من المحامين ورجال النيابة والقضاة الشبان يحنون الى هذه القهوة ويذكرون بها أحلى ايامهم التي قضوها فيها مشتغلين بالادب ودرس القانون

وقد اندرست هذه الاندية الحرة بتحوّل الأدباء عنها ولم يبق غير الاسبلندد بار التي يهددوننا بزوالها بعد ان رنت في ساحتها اصوات الادباء وأهل السياسة عشرين سنة متوالية ولم ينصفها احد بكلمة قبل حضرة الكاتب الفاضل اسكندر افندي شاهين رئيس المحرّرين في جريدة الوطن او بعده اذ كتب عن جمعيتها مقالة في مجلة سركيس منذ سنة هي كل ما أُرخت بهِ هذه الندوة السياسية الحرة

توفيق حبيب

ثمرات المطابع



ما كانَ أهنأني وأسعدني لو كان ينفعُ معشري قلمي

أنا لي فؤادٌ لا أُنزّهُهُ لكن يراقبُ ما يقول فمي

ولي الدين يكن

* التجاريب(١) — كتابٌ عني بطبعهِ ونشرهِ حضرة الفاضل فؤاد افندي مفبغب ، وهو مجموعة مقالات اجتماعية خطّها يراعُ أديبٍ من خيرة أدباء العصر ،

(١) مطبعة غرزوزي ويطلب من مكتبة الهلال بالفجالة وثمنه ٥ قروش صاغ

وأنزههم قلماً ، وأمضاهم بلاغةً ، عنينا به ولي الدين بك يكن الكاتب المشهور ، وصديق قرّاء « الزهور »

« التجاريب » تكاد تكون صفحةً من « الصحائف السود » ، ولم ينسَ القرّاء ما في « الصحائف السود » من تنهدات وزفرات تأخذ بمجامع الفؤاد ، وتحرّك كامن العواطف . في هـذه وفي تلك ، كما في « المعلوم والمجهول » أنهُ رجلٍ حرّ صادق ، يردّد صداها قلم شاعرٍ ملَكَ أسرار البلاغة واستسلمت له عرائس المعاني . ولكنّ الشاعر في « التجاريب » كثيراً ما يشفُ عن الوطني الذي يتألم مما آل اليهِ وطنهُ المفدّى ، ويحاول ان ينزل الى ميدان السياسة ليناضل عن حوزتهِ . ما جرى قلم وليّ الدين قط الاّ بما خفق بهِ قلبهُ وتحرّك له لبُّهُ ، وهـذا سرُّ تأثير كتاباتهِ . إقرأ مقدمة مؤلفهِ الجديد تفهمَ بعض ما يخالج ذلك الصدر . وهاك المقدمة مكتوبة بخط يده

مقدمة المؤلف بخط يده

كل ما يتعلمه المرء من حوادث الأيام تجربة . وما يستفيد التجربة مستفيدها الا وقد استكمل بنيته بجروح من الألم . ولو كنا نُعنى بتقييد الخطرات وهي أغنى ما نلقى لفاضت من الكتب الضخمة رسائلنا . ولكن ما يسلم من النسيان قليل . وفي ذلك القليل ذكرى اذا استعادها المرء وجد راحة في استعادتها . هذه آلام مصورة وشكاوى متجسدة . هذه هدية الفؤاد المقروح الى الافئدة المقروحة . انه كالافئدة منها تتعارف به وتتآلف . واذا لم تنفع اليوم نفعت غدا

[illegible]

فنشكر صاحب « التجاريب » على هديتهِ، ونحن واثقون أن فيها النفع الجزيل لكلّ من يطالعها ، وان كلّ أديب يحبُّ الأدب وذويه سينافس باقتنائهـا وهي خير مقتنى

٭ سرّ تطوُّر الأمم[١] – اذا سألتَ عن افراد رجال القانون والقضاء والتشريع في مصر ، يُذكر لك في مقدمة من يُذكر سعادة احمد فتحي باشا زغلول المحامي فالقاضي فوكيل نظارة العدل . واذا سألت عن نخبة المؤلّفين والكتّاب الاجتماعيين الذين أفادوا بلادهم بما كتبوا وسطّروا ، يُورد لك ، في طليعة الاسماء اسم احمد فتحي زغلول ، صاحب « سرّ تقدُّم الانكليز السكسونيين » و« روح الاجتماع » و« سرّ تطوُّر الأمم » الخ . وعند ما سألنا ، في السنة الماضية ، جمهور القراء عن نوابغ مصر الاحياء ، ورد ذكر فتحي زغلول في جملة هؤلاء النوابغ . فكلُّ ذلك ينبئ عن قدر الرجل وفضله واجتهاده ، وعن تقدير الأمة والحكومة لخدماتهِ الجليلة ولصفاتهِ العالية

وآخر أثرٍ أتحف بهِ سعادتهُ عالم المطبوعات هو كتاب « سرّ تطوُّر الأمم » لواضعهِ الكاتب الاجتماعي « الدكتور جوستاف لوبون[٢] » وقد تناول فيهِ ابحاثاً خطيرة وموضوعات جليلة فبحث في مذاهب المساواة في العصر الحاضر وروح التاريخ ، وطباع الشعوب النفسية ، وظهور أخلاق الأمم في عناصر مدنيتها ، وتاريخ الأمم باعتباره مشتقاً من أخلاقها ، وتحوُّر صفات الأمم بتأثير المبادئ والمعتقدات الدينية ، وتحلُّل الخُلق وسقوط الأمم الى غير ذلك من الابحاث الاجتماعية التي باتت تشغل الخواطر وتستوقف أبصار المفكّرين . وقد نشرنا في غير هذا المكان من هذا الجزء فصلاً يدلُّ على نمط الكتاب واسلوب المترجم

---

(١) طبع بمطبعة المعارف عدد صفحاته ٢٢٠ وثمنه ١٠ قروش صاغ

(٢) L’Evolution des Peuples par Gustave Lebon

قال حضرة الكاتب المفكّر احمد لطفي بك السيد في فصل كتبه في « الجريدة » عن الكتاب الذي نحن بصدده انهُ عاد فتحي باشا في منزله وقد ابلَّ من انزعاج ألمَّ بهِ فوجده في مكتبهِ بين أوراقهِ ومحابره مشتغلاً بوضع شرح للقانون المدني المصري ، فسأله : « أبهذا ترتاض يا سيدي الباشا ؟ » فقال : « هذه رياضتي » وأشار الى كتاب « سرّ تطوُّر الأمم »

فرجلٌ هذه رياضتهُ وهو على ما يعرفهُ الناس في مركزٍ يشغل معظم وقتهِ ويستغرق عمله الجهد العظيم لجديرٌ باحترام الأمة التي يخدمها بامانةٍ وعقلٍ ونشاط

* تاريخ الصحافة العربية [١] — من الأعمال الشاقة على المؤرخ كتابة تاريخ صادق عن الصحافة العربية . وقد طالما بحث الباحثون في هذا الموضوع ولكنهم لم يفوهُ حقهُ ، ولا محَّصوا اخباره ، لكثرة ما اعترضهم من المصاعب فان الصحف التي ظهرت في بدء النهضة الحالية قد أمست اليوم نسياً منسيًّا ومات اكثرها بموت أصحابها فلم تحفظها مكتبة ، ولا ادَّخرها أديب . لذلك حاول حضرة الوجيه الفاضل الفيكونت فيليب دي طرَّازي ان يكتب هذا التاريخ غير مكترث لتلك العقبات فنقَّب كثيراً وبحث مُجدًّا حتى توفَّق الى معرفة ما فات غيره من الحقائق فوضع التاريخ المذكور وهو يحتوي على اخبار كل جريدة وكل مجلَّة عربية ظهرت في العالم حتى يومنا الحاضر ، مع جملة حسنة من صوَر أصحابها ومنشئيها وكتَّابها ، وشفع ذلك كله ببيانات وافية عن حياة كل جريدة ونزعتها السياسية أو خطتها الأدبية فكان موءلَّفه هذا أشبه بقاموس يُرجع اليهِ ، ويستفاد بهِ . وبين أيدينا الآن الجزء الأول منهُ وهو يقع في ١٥٠ صفحة مطبوعة طبعاً جميلاً . فنثني على الكاتب احسن الثناء ونتمنى ان يقدّر الأدباء عمله قدره فيكون لكتابه ما يستحقه من الرواج

(١) طبع في المطبعة الادبية في بيروت ويطلب منها ومن مؤلفه

* القواعد الجلية في علم العربية [١] — هذا الكتاب لواضعهِ المفضال حضرة الأب جبرائيل اده اليسوعي من اشهر الكتب المدرسية في علمي الصرف والنحو وقد درس فيهِ قواعدَ العربية عددٌ كبيرٌ من الناشئة وعرفوا سهولة اسلوبهِ وحسن ترتيبهِ. وقد أعاد طبعهُ الآن حضرة العالم الأب خليل اده وأبرزه في حلة جديدة من حيث التقسيم والضبط فزاد في جلائهِ وضبطهِ وزفّهُ الى تلاميذ الصفوف المختلفة في ثلاثة أجزاء جميلة الشكل، متقنة الوضع، مثل كلّ ما تصدره مطبعة الآباء اليسوعيين

* دمعة القلم [٢] — جمع تحت هذا العنوان حضرة الفاضل حنا افندي نقّاش ما قاله الادباء ونظمهُ الشعراء في رثاء الوجيه المحسن المرحوم جورج كرم احد اعيان السوريين في الاسكندرية وكلها تدلُّ على ما كان للفقيد الكريم من المكانة والمنزلة السامية في قلوب عارفيه على اختلاف طبقاتهم

* من امير الى سلطان — رسالة قدَّمها المغفور له البرنس مصطفى فاضل باشا الى السلطان عبد العزيز سنة ١٨٦٦. وهي تتضمن آراء في اصلاح المملكة العثمانية مبنية على نظريات صادقة واختبارات شتى ترجمها الى العربية سعادة احمد فتحي باشا زغلول ونشرتها مطبعة المعارف. وهي من الرسائل التي يجدر بالقراء مطالعتها في الآونة الحاضرة

ثلاثة تُكبّر الانسان عما هو: الرزانة والكرم والعفو

وثلاثة تُبقي الانسان على ما هو: التشبث بالرأي، والاحتفاظ بالفوائد، والبعد عن النصيحة

وثلاثة تصغّر الانسان عما هو: البخل والأنانية واللؤم

---

(١) المطبعة الكاثوليكية في بيروت (٢) مطبعة غرزوزي بالاسكندرية

ازهار واشواك

مصائب قوم . . .

قرأتُ في الجرائد أنّ فريقاً من أقارب غرقى الباخرة « تيتانيك » التي يذكر القراء خبر غرقها منذ مدة في لجج الاوقيانوس ينوون ان يقاضوا الشركة امام المحاكم ويطالبوها بالتعويض المالي . ويبلغ مجموع ما يطلبون ثمانية ملايين ريال او اكثر

وفي مقدمة المطالبين بالتعويض — بل المطالبات لأن الاكثر نساء — مسز هريس فانها تطلب ٢٠٠ الف جنيه مقابل غرق قرينها و ٥٥٠٠ جنيه قيمة الامتعة التي فقدتها هي وفي جملتها عقد من اللؤلؤ ثمنه الفا جنيه

ومنهنّ مسز كارديزا تطالب بمبلغ ٣٥ الف جنيه ثمن ما فقدت من الملابس والحلي : بينها ماسة قرنفلية اللون قيمتها أربعة آلاف جنيه ، ودبابيس لبرنيطتها قيمتها مئة جنيه ، وجونلاً بيضاء قيمتها ١٩ جنيهاً ! !

ومنهنّ مسز ملت تطالب بمبلغ ٢٠ الف جنيه ثمن قرينها المفقود . ومسز فوتريل تطالب بمبلغ ٦٠ الفاً ثمن قرينها ايضاً وبمبلغ ٢٠ الفاً ثمن صورة بالزيت تمثّل « جركسية في الحمام » وبمبلغ ١١ ألف جنيه ثمن ١١٠ آلاف قدم من الرقوق التي تطبع الصور المتحركة عليها

ومنهنّ الكونتس روذس تطالب بألفي جنيه مقابل أمتعتها الشخصية منها خاتم ماس ثمنه ٢٠٠ جنيه

وبين أصحاب القضايا رجل وامرأته يطالبان بمبلغ ٣٠ ألف جنيه عن ابن فقد هو وقرينته وأولاده كلهم . صدق والله الشاعر القائل :

بذا قضتِ الأيام ما بين أهلها   مصائبُ قومٍ عند قومٍ فوائدُ

من وليّ الدين

بين ولي الدين بك يكن وصاحبَي « الزهور » إلفةٌ بلا كلفة . وقد دارت بينهم مراسلة لطيفة منذ سافر ولي الدين الى الثغر الاسكندري . واعتاد صاحب « المعلوم والمجهول » في رسائلهِ ان يجعل مدير هذه المجلة ومنشئها شخصاً واحداً بأن يشتقّ لهما اسماً مركباً من شطرٍ من اسم هذا وشطرٍ من اسم ذاك

ولعلَّ في هذا الاشتقاق خير ردٍّ على الدكتور شميّل وغيرتهِ . ومن محاسن الاتفاق ان وقعت بيدي آخر رسالةٍ كتبها ولي الدين ، فأحببت ان أضمها الى أزهاري لما فيها من عرف الإِخلاص وأريج المودّة الصادقة ، قال :

رمل الاسكندرية — محطة مظلوم باشا في ٧ مارس سنة ١٩١٣

أخي انطون تقي الدين

أنا أسير الفراش من منذ آخر كتاب أنفذته اليك . وهذا الكتاب أسطّره على ذلك المضجع الخشن . طال أمد السقام وأوحشتني الصحة . ويا ليتني اذ لم أفز بالصحة فزت برقدة يستريح الجسم فيها . لا هذه ولا تلك . افٍ لأحكام المقدور . قصارى الانتصاف أن اكون لديه صاغراً

مضت ليالَّي كلها في سهادٍ مطّرد . ما عالجتُ النوم مرّة ، وقرَّبته مني قيد شعرة . أضطجعُ على سريري ، وآخذ الكتاب من الكتب أقرأهُ حتى آتي على آخرهِ . ولقد أقرأهُ وأنا لا أفهم ما فيـهِ . تلك استعانتي على أهاويلِ الدياجي ، استعانة الضعيف بأضعفِ الحيَل

ولقد صبَّحتني اليوم « زهورُك » ، وأنا على سريري قائمٌ كأنفِ عبد الحميد على وجههِ . فاذا « الزهور » تبشّرنا باستهلال سنتها الرابعة — أطال الله عمرَ الزهور

وعمرَي كاتبها وصاحبها . الآن وجبت التهنئة . ولكن هيهات ! لا يهبط الالهام على الشاعر الموجع

أمّا وصفُكَ « لفروق » ونوحُك عليهـا ، فقد هزّ روحي هزّا . رعى الله « فروق » ما أفتنها . هي أوّلُ ثغرٍ بسم لوجهي بعد ثغرَي الوالدين . ثمَّ لم ألقها بعد ذلك الاَّ باكيةً وباكياً . إئتلفت العناصر فقامت بها الاشياء . وقامت «فروقُ» من عنصر واحدٍ لست أدري ما هو ، ولكنّهُ عنصر يُظلِم عنده الراديوم . كنت أشتاق الى « فروق » وأنا فيها ، فما أنا صانع وأنا ناءٍ عنها . ان أمَّة تضيع مثل « فروق » لمضياع . غير أن « فروق » ناشز . لا تدوم على ودّ . ليتها لم تكن . وليتها اذ كانت كانت في دون هذا الجمال

عفا اللهُ عنك ! أثرتَ شجوني ، وأنا أكاد أعجز عن اجالة القلم ضعفاً . ولقد قلت

ما لهـذا السقام لازَمَ جسمي　　حَلَّ مني ما بينَ عظمي وجلدي

كلَّ يومٍ أذوبُ شيئاً فشيئاً　　ولقد ذابَ قبلَ ذلك كبدي

فاذا صرتُ في الترابِ دفيناً　　خبّروا الشعرَ أنهُ ماتَ بعدي

تعبتُ وكنت أودُّ أن لا أتعب ، لأحدّثك طويلاً ، لأُساجلك الدموع . وانَّ أمامي لثلاث قصائد كاملة هي هديتي « للزهور » ولكنني لا أستطيع نسخها ، وخطها مشوّش . فاصبر ، عسى ان تراجع الحياة شاعرها ، فيصدقك روايتها ، سلامٌ عليكَ وشكر لك على ما تولبني من العناية . ٭٭٭ ليس بشاعر . ولكنـهُ رصّاص سرَّاق وهو ينسج على منوال الطبقة السافلة من أمثال ابن النبيه والصفي الحلي والشابّ الظريف وابن الفارض من الشعراء الحشّاشين او شعراء البديع . وما زال يعانق غصنَ البان والأراكِ حتى لواهُ — لواهُ الله !

اكرر سلامي وتحياتي . وافِني باخبارك سلامتك　　　　أخوك

ولي الدين يكن

خمسة جنيهات للرافعي

بيتان من الشعر أُعجب بهما الشيخ احمد آل ابرهيم أحد سراة الهند ، فأحبَّ ان يعرف شاعرهما ، فسأل عنهُ وديعاً البستاني سميرَه الأديب ، فخانتهُ الذاكرة ، فسأل صديقتهُ مجلة « الزهور » فلم توفّق اكثر منهُ ، فحوّلت السوءال بدورها اليَّ ، فكان حظي من الشاعر حظ من سُئل قبلي ، فطرحتُ السوءال على قرّائي في جزء سابق ، فلم تخب آمالي ، لأنَّ بين قرّائي نخبة الادباء المتضلّعين ، وجاءني الجواب الشافي من أبي السامي مصطفى صادق الرافعي وقد نشرته (ص ٤٩٤ سنة ٣) وضمنتُ له حينئذٍ جائزةً من آل ابرهيم . فُحققت آمالي للمرة الثانية ، وكان حظي من قرّائي الاغنياء حظي من قرّائي الادباء . فما لبث بريد مصر ان حمل الى الهند ذلك الجواب حتى وافاني بريد الهند بكتابٍ تضمن الجائزة المؤمَّلة ، وهي حوالة بخمسةٍ من الذهب ، أدفعها للرافعي حين الطلب . . .

بورك في آل ابرهيم الكرام ، وبورك في البستاني الصغير ، وبورك في الرافعي الأديب ، بركة شملتهم جميعاً ولم ينلني منها لا خيرٌ ولا أذى ، وانما حسبي من أبي السامي الرضى . . . **ماصر**

ثروة هائلة

تقولُ العربُ في أمثالها « أغنى من قارون » . ولكن التاريخ لم ينبئنا عن مبلغ غنى الرجل ، لنقابل بين ثروتهِ وثروة ملوك المال في عصرنا هذا : توفي في الشهر الغابر المثري الاميركي الشهير بير بونت مورغن عن ثروةٍ قلما اجتمعت لرجلٍ ، وقد قدَّرتها الدايلي تلغراف بمبلغ يتراوح بين العشرين مليوناً والمئة مليون جنيه ، وقالت ان السبب في هذا الاختلاف الكبير في التقدير كون مورغن يملك كثيراً

من التحف القديمة التي دفع بها أموالاً طائلة كالصورة التي اشتراها بمبلغ ١٠٠ الف جنيه . فاذا أريد بيعها لم يشترها أحد بذلك المقدار . وقالت أيضاً ان ثروته الخصوصية دون ثروة المستر روكفلر والمستر كارنيجي بكثير ولكن قيمة الشركات والاعمال المالية التي كان يتولاها مورغان تفوق كل ما تولاه انسان قبله . وقد قدرتها التيمس بمبلغ الفي مليون جنيه وهو قدر يبلغ عشرة أضعاف الغرامة الهائلة التي دفعتها فرنسا الى المانيا بعد حربهما المشهورة . على ان كاتباً في الديلي تلغراف قدّر تلك القيمة بمبلغ ١٣٠٠ مليون جنيه وقال ان هذا القدر يزيد ٢٠٠ مليون جنيه على الدخل السنوي لأمم الارض الكبرى وعدتها ٤٣ امة . وهو يزيد ٤٠٠ مليون جنيه على جميع ما في الارض من الذهب المسكوك نقوداً وغير المسكوك

ولو بدأ انسان يعد هذا المال من ساعة ولادته على نسبة جنيه في الثانية وبقي يعد ويحسب الايام كلها بلياليها من غير انقطاع لانتهى من العد وهو ابن ٦٣ سنة

على ان أعظم من هذا القدر هو قيمة الاعمال المالية التي كان مورغن يتولاها وللمستر روكفلر سهم كبير فيها . ففي السنة الماضية عين مجلس النواب الاميركي لجنة لتحقيق ما لهذه الشركة من التأثير في شؤون البلاد المالية والصناعية . وبعد تحقيق دام عدة أشهر وضعت اللجنة تقريراً قالت فيهِ إن في أيدي الرجلين ٣٦ بالمئة من ثروة أميركا المتداولة بين الأيدي ومصادرها الطبيعية وقدَّرت قيمة ما تمتلكه هذه الشركة بمبلغ ٧٩٥٠ مليون جنيه . منهُ نحو ٣٠٠٠ مليون قيمة أعمال صناعية . ونحو ٣٤٠٠ مليون قيمة سكك حديد . ونحو ٨٠٠ مليون قيمة بنوك وغيرها من المعاهد المالية . و ٢ مليون قيمة مناجم من بترول وغيره . ونحو ذلك قيمة اعمال اخرى

ولبيان عظم هذا القدر تصوَّرْ ان رجلاً شرع يعدُّه على نسبة جنيه في الثانية من عهد موت كروموبل في انكلترا ومزاران في فرنسا لانتهى من عدّهِ في هذه السنة الجارية بفرض انهُ عاش هذه المدة كلها وطولها نحو ٢٥٠ سنة . ولو شرع في عدّه من الآن لانتهى سنة ٢١٦٣

ولما توفي مورغن أوقفت بورصة نيويورك الاعمال حداداً عليهِ خمس دقائق وهذه أول مرة أوقفت البورصة أعمالها هذه المدة الطويلة ! ! منذ نشأتها اكراماً لرجل من الناس

كان مورغن قليل الكلام كثير الكلف بالايجاز . قابل امبراطور المانيا فقال : « قابلت الامبراطور فأحببتهُ » . أما الامبراطور فقال فيهِ :

« لم أجد في حديثهِ دليلاً على انهُ مدرك تمام الادراك ما في العالم التجاري من أسباب الائتلاف والاختلاف . وقد أدهشني جهله لتقدم الامم التاريخي والفلسفي . وليس في سياستهِ الاقتصادية (أو اقتصاده السياسي) محل للاهتمام بالاشتراكية التي ستصبح عن قريب أعظم المسائل حيثما كان . وقد اعترف بأنهُ لم يهتم بها الى حد ان يعرف حقيقة ماهيتها »

تزوج مرتين . ففي الاولى قصد باريز سنة ١٨٥٩ لرؤية خطيبته وكانت مريضة بل مسلولة فامتنعت عن الزواج طبعاً فأقنعها مورغن بأن تتزوجه وقال : « اني أدور بك الارض لتعود اليكِ صحتكِ » . فاقترن بها سنة ١٨٦١ وانقطع عن الاعمال وتفرَّغ لعمل كل ما يُحسّن صحتها . ولكن ذلك كله لم يجدِ نفعاً ، فتوفيت بعد زواجهما ببضعة أشهر . وعاد فأكبَّ على أعماله كعادته ولم يتزوَّج ثانية الاَّ بعد مضي ثلاث سنوات على زواجه الاول

كان مورغن لا يضنّ بدفع الرواتب الهائلة عند الحاجة . واكبر راتب دفعهُ هو او غيره الى مستخدم ، ما عدا رواتب الملوك ، هو مبلغ خمسين الف جنيه للمستر دوكنس وكيل المالية المصرية سابقاً والسير كلتون دوكنس فيما بعد . فانهُ لم يكد يستعفي من مصر ويعين عضواً مالياً في مجلس والي الهند حتى عرض عليهِ مورغن خدمة عنده بالراتب المذكور وضمن له الراتب . فقبل ولكن لم تطل مدة خدمته عنده لأنهُ مات بعد سنوات قليلة من فرط الجهد وتراكم العمل عليهِ

دروس

« يجب ان نأخذها من النحلة »

تعلمنا النحلة : —

١ المثابرة على العمل ، لأن النحلة لا تتخلّى عن عملها قط

٢ الاخلاص والطاعة ، لأن النحل يحب ملكتهُ و يطيعها

٣ محبة الأوطان ، لأن النحلة لا تترك بيتها الاّ للضرورة ولوقت قصير

٤ النظافة ، اذ لا أنظف من بيت النحلة وخليتها

٥ الرفق والعطف على الآخرين ، فالنحلة لا تترك رفيقة لها في ضيق

جوب الاستيقاظ باكراً

جوب التمتع بالهواء النقى

٨ المسالمة والمودَّة ، فقلما تشاجر النحل

وصايا الحكماء

• أيام الدهر ثلاثة يوم مضى لا يعود اليك . ويوم أنتَ فيهِ لا يدوم عليك . ويوم مستقبل لا تدري ما حاله ولا تعرف من أهلهُ (الابشيهي)

• إسمانِ متضادَّان بمعنى واحد : التواضع والشرف . وقيل اذا ارتفع الشريف تواضع واذا ارتفع الوضيع تكبَّر (القيرواني)

• سُئل سقراط : لماذا لا تتكلم. أجاب : خلق لي أذنان وفم واحد لكيما يسمع الانسان اكثر مما يتكلم

• قال رجلٌ : أصعبُ الاشياء ان ينال المرء ما لا يشتهيهِ . فسمع كلامهُ بعض الحكماء فقال : أصعب من ذلك ان يشتهي ما لا ينالهُ (العاملي)